الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشّهيد حمه لخضر- الوادي

كلية:العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

نشاط الأخوات البيض في الجنوب الشرقي إبان الفترة الاستعمارية

(غرداية– ورقلة – أنموذجًا)

مذكرة مقدّمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر الأكاديمي في

تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطّالبتين:

- ابتسام قطران
- سهام كنوز
- مبروكة بن شبيبة

إشراف الأستاذ(ة):

- شهرزاد رميثة

نوقشت المذكرة علنا يوم: ...../...../2024

أمام اللجنة المكوّنة من الأساتذة:

اللجنة	الرتبة	الجامعة	الصفة
بان أم الخير	أستاذ مساعد قسم . ب	جامعة الشهيد حمه لخضر	رئيسا
رميتة شهرزاد	أستاذ مساعد قسم . ب	جامعة الشهيد حمه لخضر	مشرفا ومقررا
معاذ عمراني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر	ممتحنا

السّنة الجامعيّة: 2024/2023

الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشّهيد حمه لخضر- الوادي

كلية:العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

نشاط الأخوات البيض في الجنوب الشرقي إبان الفترة الاستعمارية

(غرداية– ورقلة – أنموذجًا)

مذكرة مقدّمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر الأكاديمي في

تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطّالبتين:

- ابتسام قطران
- سهام كنوز
- مبروكة بن شبيبة

إشراف الأستاذ(ة):

- شهرزاد رميثة

نوقشت المذكرة علنا يوم: ...../...../2024

أمام اللجنة المكوّنة من الأساتذة:

اللجنة	الرتبة	الجامعة	الصفة
بان أم الخير	أستاذ مساعد قسم . ب	جامعة الشهيد حمه لخضر	رئيسا
رميتة شهرزاد	أستاذ مساعد قسم . ب	جامعة الشهيد حمه لخضر	مشرفا ومقررا
معاذ عمراني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر	ممتحنا

السّنة الجامعيّة: 2024/2023

شكر و عرفان

لله الحمد و المنة ، و لله الحمد و الشكر على إلهامنا العزم و الإرادة، و إلباسنا هندام الجد و المثابرة لإتمام هذا العمل المتواضع، و أنار لنا طريق العلم و المعرفة، نسأل الله أن يكون في ميزان حسناتنا.

نتقدم بجزيل الشكر للسيدة المشرفة الأستاذة رميثة شهر زاد التي لم تبخل علينا عند الاستشارة و الشكر موصول للسيد محمد محسن بن عودة مدير متوسطة عيسات إيدير تبسبست حيث ألان لنا الطريق و أناره باتصالاته للوصول إلى مقر الأخوات البيض في الحفرة بغرداية، و المركز الثقافي للوثائق الصحراوية. وجمعية أطفيش.

كل الشكر و الامتنان لمجموعة الدكاترة الذين ساهموا في تزويدنا بالمعلومات و الكتب أمثال السيد رضوان شافو، الدكتور محمد فوزي بوبكر، الدكتور عبد الحميد يعقوب،فريال طبة، أسماء كماسي.

كما لا يفوتنا تقديم شكرنا الخالص لشهود العيان الذين أفادونا بمعلومات قيمة نتيجة معايشتهم لتلك الفترة أمثال السيدة رشيدة بلحسن، السيد حاج سعيد أحمد، مليكة دادي، الحاجة خراز بلحسن، سليمان بومعقل، الأب إتيان بورقلة، فضلاً عن حسن الاستقبال من عمال المكاتب، مكتبة الزاوية التجانية، مكتبة بن نعمية (بلدة عمر)، مكتبة النزلة متحف المجاهد...

إهداء

إلى مصدر فخري و إعتزازي أمي و أبي، حيث لا يسعني أن أقول فيهما إلا كما قال سبحانه وتعالى "وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا" الآية 24 من سورة الإسراء.

ولا يزال دعمهم حتى و أنا كبيرة.

إلى إخوتي كل باسمه سندي و عضدي و مشاطري فرحي و حزني (العربي،علي، عماد، لطيفة، كوثر، أحلام، خولة،) و إلى كل فرد من عائلتي صغيرهم قبل كبيرهم.

إلى زوجي الغالي عبد الرؤوف بهدنة و عائلته الكريمة.

إلى فلذة كبدي، نور عيني، روح الروح و نبض الفؤاد أولادي الغاليين حفظهم الله و رعاهم (شفاء، منال، محمد الهادي)

إلى زميلتي الفاضلتين مشاركتي في هذا العمل سهام و مبروكة إلى أقرب الزميلات بل أخواتي، و أقربهم إلى قلبي (نزيهة، مسعودة، نوال، وسيلة، حنان....)

دون أن زميلي في العمل (الأستاذ الطيب و حامد)

و إلى كل من ساهم في نصحي و دعمي ولو بكلمة أهدي هذا العمل المتواضع.

ابتسام قطران

إهداء

يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"

سورة المجادلة الآية 11

إلى من عزفنا باسمه قبل أسمائنا أهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين

أطال الله في عمرهما و حفظهما

شكرا لنفسي لأنني لم أنهار بسبب ما تفعله بي الحياة لأن عند خسارتها لشيء

ما تجد غيره لتثبت ماهي

إلى زوجي الغالي سندي في الحياة الذي لم يتراجع يوما في وعده لي بالدعم

و المساندة و رفع معنوياتي (عاشور) دمت لي المأمن و الأمان و حفظك الله لي

إلى ثمار وجودي في الحياة أبنائي حفظهم الله و سدد خطاهم محمد همام –

عبد البارئ– عبد المؤمن

إلى زملائي في إعداد هذا العمل المتواضع إبتسام و مبروكة إلى كل زملائي في

مؤسسة الإمام علي كل باسمه خاصة سعاد – جميلة– أمال–كريمة– سامية– عماد

إلى إخوتي و أخواتي و أهلي و أقاربي إلى كل هؤلاء أهدي ثمار جهدي و نجاحي

سهام كنوز

إهداء

إلى جـــامعـة وادي ســـوف

قسم التـــــاريخ

إلى عـــائلتي

زوجـــــي وأبنائي

إلى أبناء الصمـــــت

مبارك بن شيبة

ملخص الدراسة باللغة العربية:

إن الرحلات الاستكشافية التي قام بها الفرنسيون من خلال السياسيين والعسكريين، من أجل فرض سيطرتهم على جميع مناطق الجزائر، مكّنت فيما بعد رجال الدين من الآباء والأخوات البيض من التسلل إلى هذا المجتمع ككل بما فيه الجنوب الشرقي (غرداية، ورقلة) موضوع دراستنا.

ويمكن القول أن هؤلاء المنصّرين من الآباء والأخوات البيض استطاعوا التغلغل – وإن كان بصفة محدودة– داخل هذين المجتمعين، كما اختلف حجم التأثير من فئة لأخرى خاصة من جانب الأخوات اللاتي قمن بنشاطات مختلفة، حيث تكّفلن بالعلاج في المستشفيات والمستوصفات، وأدت زياراتهن إلى تكوين بعض الصداقات مع النساء كما أهتمين بالتعليم المهني وخاصة المنزلي الذي كان واسطة للاتصال بكل فئاتهن، حتى أن بعض الأهالي كانوا يدعونهن إلى بيوتيهن ويتبادلن معهن أطراف الحديث.

لم يكتفى هؤلاء المبشرين في دعوتهم إلى النصرانية بتقديم خدماتهم في المجالات المختلفة (صحي، تعليمي، مهني) التي تبدو في ظاهرها إنسانية وتخفي في طياتها ما هو أمرّ، بل استعانوا في ذلك بكل ما يحقق أهدافهم مهما كان نوع هذا العمل حتى ولو كانت الصلاة والدعوات من أجل نشر المسيحية في الجزائر و مختلف مناطقها.

Abstract:

The exploratory trips undertaken by the French, through politicians and the military, in order to impose their control over all regions of Algeria, later enabled the clergy of the white fathers and sisters to infiltrate this society as a whole, including the south-east (Ghardaia and Ouargla), the subject of our study.

It can be said that these Christian fathers and white sisters were able to penetrate - albeit to a limited extent - within these two societies, and the extent of influence varied from one group to another, especially on the part of the sisters who carried out various activities, as they sponsored treatment in hospitals and clinics, and their visits led to the formation of some friendships. With women, they also paid attention to vocational education, especially home education, which was a means of communication with all their groups. Some families would even invite them to their homes and exchange conversations with them.

In their call to Christianity, these missionaries were not satisfied with providing their services in various fields (health, education, vocational), which on the surface appear to be humanitarian but conceal within them something more urgent, but rather they sought help in doing so with everything that would achieve their goals, regardless of the type of this work, even if it was prayer and supplications. In order to spread Christianity in Algeria and its various regions.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات	
العنوان	**الصفحة**
الإهداء	/
كلمة الشكر	/
ملخص الدراسة باللغة العربية	**VIII**
ملخص الدراسة بالدراسة باللغة الأجنبية	**IX**
فهرس المحتويات	**X**
قائمة الجداول	**XI**
قائمة الملاحق	**XII**
قائمة المختصرات	**XIII**
مقدمة	أ - ح
مدخل	25 – 22
الفصل الأول: نشاط الأخوات البيض في مدينة غرداية	**45 – 26**
المبحث الأول: نبذة عن مدينة غرداية	27
المبحث الثاني: نشاط الأخوات البيض في الميدان الصحي	29
المبحث الثالث: نشاط الأخوات البيض في المجال التعليمي	34
المبحث الرابع: نشاط الأخوات البيض في الجانب المهني	38
المبحث الخامس: نشاط الأخوات البيض في مدينة المنيعة كنموذج	42
خلاصة الفصل	45
الفصل الثاني: نشاط الأخوات البيض في مدينة ورقلة	**69 – 46**
المبحث الأول: نبذة عن مدينة ورقلة	47
المبحث الثاني: نشاط الأخوات البيض في الميدان الصحي	49
المبحث الثالث: نشاط الأخوات البيض في المجال التعليمي	56
المبحث الرابع: نشاط الأخوات البيض في الجانب المهني	60
المبحث الخامس: نشاط الأخوات البيض في تقرت كنموذج	66
خلاصة الفصل	69
خـــــــاتمة	73 – 71

الملاحق	85 -75
المراجع والمصادر	100 - 96

قائمة الجداول:

الرقم	العنوان	الصفحة
01	عدد التلاميذ بمدرسة الآباء في غرداية من سنة 1884 إلى 1930	35
02	التعليم العام في مدرسة الأخوات البيض	37
03	إحصاء 01 أكتوبر 1956 في التكوين المهني للبنات	41
04	إحصاء 1959 في التكوين المهني للبنات	41
05	عدد المتنصرين كعينة في منطقة المنيعة	43
06	إحصاء أول أكتوبر 1928 التكوين المهني بالمنيعة	43
07	المدرسة التقنية في غرداية والمنيعة في 1961	44
08	أهم معطيات مراكز الآباء البيض ورقلة	58
09	مدارس التعليم العام	58
10	مدارس التكوين المهني	62
11	عدد التلميذات والأقسام بورقلة	63

قائمة الملاحق

الرقم	العنوان	الصفحة
01	صورة لشارل دو فوكو	75
02	خريطة تبين مراكز الآباء و الأخوات البيض وسنوات تمركزهم في الجنوب الشرقي الجزائري	75
03	صورة للكاردينال لافيجري	76
04	صورة للدار المربعة	76
05	صورة للباس الأخوات البيض	77
06	خريطة الموقع الجغرافي لمدينة غرداية وقصورها	78
07	صورة للمستشفى العسكري في حي تيضفت	78
08	خريطة لقصر غرداية تظهر مركز التكوين المهني للأخوات البيض بحي باب الراعي	79
09	تسريح الصوف بغرداية	79
10	خريطة الموقع الجغرافي لورقلة والمناطق التابعة لها	80
11	صورة القصر القديم بورقلة	80
12	صورة لفنانتين منصرتين في المجتمع الورقلي	81
14-13	ملخص لقاء مع مليكة دادي	81
15	صورة للاخوات البيض يدرسن الفتيات في ورقلة	82
16	صورة لتسريح الصوف وغزله في ورقلة	82
17	صورة لصناعة الزرابي بورقلة	83
18	صورة للدار الأم بالنزلة تقرت	84
19	صورة لمصباح الكيروسين أو ما يعرف بالكانكي	84
20	صورة للقابلة جاندري.	85

قائمة الاختصارات

أ- العربية:

الكلمة	اختصارها
ج	الجزء
د	الدكتور
س	السنة
ص	الصفحة
ط	الطبعة
ع	العدد
م	الميلادي
مج	الجلد
هـ	الهجري
دص	دون صفحة
دط	دون طبعة

ب- الأجنبية

Le sens	Code
Au même endroit	Ibidocd
Document	D
Ouvrage précédemment citée	Op cit
Numéro	N
Page	P
Père blanc	P B
Soeur	Sr
Sans page	S P

مـقـــــدمـة

مقــدمــة

شكل الاحتلال الفرنسي للجزائر مرحلة مفصلية في تاريخ الشعب الجزائري لم يستهدف الأرض فقط، وإنما كان الشعب هدفا جوهريا لهذه الحملة الاستعمارية، بحيث أدى الوجود الفرنسي لمدة 132 سنة إلى تطبيق سياسات مختلفة كالإدماج، مصادرة الأراضي، فضلاً عن التجنيس والفرنسة، وحملات التنصير من أجل إخضاع الشعب والسيطرة على الأرض.

إن كل سياسة من تلك السياسات تبدو أخطر من سابقتها، لاسيما التنصير الذي استخدم كوسيلة لبلوغ غايات كانت تبدو مستحيلة، وعليه أخذت السلطة الاستعمارية تحكم قبضتها، وتبسط نفوذها على جميع الميادين (اقتصادي، سياسي، اجتماعي...) كما حاولت القضاء على مقومات الأمة الإسلامية الجزائرية من لغة، تاريخ ودين.

وبعد تحكم فرنسا في سواحل الجزائر كان عليها أن تتم سيطرتها لتصبح سيدة المنطقة كلها بالاستيلاء على الصحراء التي تعتبر البوابة الواسعة نحو البلدان الإفريقية، إنها تاريخ واسع مثلما هي جغرافيا، لذلك ركز عليها الفرنسيون فعملوا على استكشافها. ولم يقتصر الأمر على السياسيين والعسكريين وإنما تعداهم إلى رجال الدين الذين كانوا يحملون مشروعًا استعماريا باسم الرسالة الحضارية. هؤلاء الذين استقدموا بدورهم الأخوات البيض أو ما يعرف بـ (Les sœurs Blonches) اللاتي كن في تاريخ الجزائر المستعمرة دعامة أساسية لتنفيذ المشروع الاستعماري وقد تظهر لنا أهمية هؤلاء الأخوات حتى من خلال المهام التي أوكلت لهن من طرف الكاردينال لافيجري (CHARLES MARTIAL LAVIGERIE)، وقد حددها في التبشير عن طريق التعليم الابتدائي الديني للنسوة، والاهتمام باليتامى الجزائريين خاصة الإناث، وكذا الإشراف على المستشفيات والمستوصفات، بالإضافة إلى المدارس والملاجئ والدور، و الزيارات الميدانية (الإسعافات الأولية وزيارة المرضى في بيوتهم).

وانطلاقا من هذا تم اختيار الموضوع الموسوم بـ "نشاط الأخوات البيض في الجنوب الشرقي الجزائري (ورقلة، غرداية أنموذجا) إبان الفترة الاستعمارية" حيث اخترنا هذين النموذجين من الجنوب الشرقي الجزائري على سبيل المثال لا الحصر.

1- أسباب اختيار الموضوع:

-الرغبة في خوض مواضيع جديدة والتي تحتاج إلى دراسة ميدانية مركزة وشاملة خاصة وأن هذا الموضوع لم يتم)التطرق إليه في الدراسات الأكاديمية بشكل يجعل القارئ يأخذ فكرة معمقة.

- عنصر التشويق الذي يمتاز به هذا الموضوع الحيوي دفعنا إلى محاولة استكشافه.

- كوننا من أبناء الجنوب الجزائري أردنا تسليط الضوء على هذا الجزء من ذاكرة وتاريخ منطقتنا.

2- الأهمية:

- تعزيز الدراسات التي تناولت مسألة التبشير في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية.
- تسلط الدراسة الضوء على جوانب مختلفة من حياة المجتمع الصحراوي خاصة في الجانب الاجتماعي من خلال نشاط الأخوات البيض.
- يكشف الموضوع عن علاقات التأثير والتأثر بين المجتمع في الجنوب الجزائري والأخوات البيض.

3- إشكالية الدراسة:

يتمحور الإشكال الرئيسي حول نشاط الأخوات البيض في الجنوب الشرقي الجزائري (ورقلة، غرداية) في الفترة الاستعمارية ومدى تأثير هذا النشاط على واقع المجتمع؟

ويندرج تحت هذا الإشكال مجموعة من التساؤلات الفرعية التالية:

1) ما هي جذور ودوافع الإرساليات التبشيرية في المنطقة؟
2) فيما تمثل نشاط الأخوات البيض في كل من ورقلة وغرداية؟
3) كيف أثر ذلك النشاط على الواقع الاجتماعي في المنطقة؟

4- الهدف من الموضوع (الدراسة):

إن الهدف من دراسة الموضوع هو تبيان كيفية وصول الأخوات البيض إلى منطقة الجنوب الشرقي. وتطرقنا في ذلك إلى غرداية وورقلة أنموذجا على وجه الخصوص، وإبراز ميادين نشاطهم في (ميدان الصحة، التعليم، والمجال المهني) وردود فعل السكان من ذلك.

5- منهج البحث:

نظرًا لما تقتضيه الدراسة فقد استخدمنا المنهج التاريخي بمقارباته المختلفة منها الوصفية كون الموضوع يعتمد على وصف نشاط الأخوات البيض في شتى المجالات بناءًا على المصادر المتوفرة، وقد استخدمنا أيضًا المقاربة التحليلية والنقدية (لماذا؟ تفسير حقيقة نشاطهن).

6- الدراسات السابقة:

أما عن الدراسات السابقة حول موضوع الأخوات البيض باللغة العربية في منطقة ورقلة لا توجد، بينما في غرداية توجد دراسة ماستر للطالب حني محفوظ جامعة غرداية بعنوان الإرساليات التنصيرية في الصحراء الجزائرية –غرداية أنموذجا- (1874-1976).

فضلا عن العديد من المقالات التي تناولت موضوع التنصير والتبشير وركزت على نشاط الأباء أكثر دون الاستغناء على نشاط الأخوات الذي لطالما كان مرتبطا بنشاط هؤلاء فقد اعتقدنا بعض الشيء في عدة مواضع كالتطبيب، المجال المهني.... ونذكر على سبيل المثال مقالة <مؤسسة الأباء البيض الفضاء الديني والاغتراب المجتمعي ملامسة سوسيو تاريخية بمنطقة غرداية للدكتور خواجة عبد العزيز وأ داود عمر المركز الجامعي غرداية ومقالة التطبيب التنصيري في ميزاب في أواخر القرن 19 ومطلع القرن 20 وموقف السكان منه مجلة البحوث التاريخية المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة كخبر التاريخ د. الجعدي رضوان

ورغم ذلك فإن تلك المراجع ركزت على الآباء أكثر من الأخوات.

7- المصادر والمراجع:

اعتمدنا في دراستنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

أ) المصادر:

1) أرشيف غير مصنف بمكتبة البحث بالمركز الثقافي للوثائق الصحراوية، يحتوي مجموعة من الوثائق مكتوب عليها علبة الأرشيف:

Ghardaïa: les sœur blanche quelque souvenir sur le poste de Ghardaïa).

والملاحظ أن هذه الوثائق تتناول ذكريات تواجد الأخوات البيض في المنطقة ولم تركز على النشاط بصفة خاصة في الجوانب المذكورة (صحي، تعليمي، مهني).

2) غير سير جورج: الصحراء الكبرى.

3) إبراهيم أعزام: غصن البان في تاريخ ورجلان تحقيق الدكتور بحار إبراهيم وسليمان بومعقل.

مصدر مهم يوضح جوانب من تاريخ ورقلة كما يوضح وصول الآباء والأخوات البيض إلى ورقلة.

4) تعتبر وثائق الكنيسة في كل من غرداية وورقلة مصدر بالإضافة إلى اللقاءات التي عقدت (السيد الحاج سعيد أحمد، السيدة رشيدة بلحسن)

ب) **المراجع**:

1) يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني ميزاب (دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية).

هذا الكتاب أفادنا كثيرًا من الناحية الاجتماعية والاقتصادية وأعطانا فكرة جيدة عن نشاط الآباء والأخوات

2) خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830م-1871م).

يعتبر من المراجع الهامة حول الحركة التبشيرية في الجزائر ومدى تأثير هؤلاء المنصرين على المجتمع الجزائري

3) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي الجزء 3و6.

كما لا يفوتنا التذكير بمرجع هام للدكتور أبو القاسم سعد الله (التاريخ الثقافي للجزائر) الذي يتناول التاريخ الثقافي والديني والاجتماعي للجزائر من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن 09 هـ (الذي تحدث عن الأسر والعلماء والجمعيات والأحزاب والمساجد والزوايا...).

4) سعيدي مزيان: النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر (1867م-1892م).

أما عن كتاب سيعدي مزيان النشاط التنصيري للكردينال لافيجري فقد حاول تسليط الضوء على شخصية لافيجري ومحاولاته التنصيرية في الجزائر.

5) اعتمدنا على كتاب الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837م – 1934م، إذ يوضح الحملات الاستكشافية الأولى للصحراء الجزائرية وكيفية تغلغل الاحتلال إلى ورقلة والأسباب والظروف التي ساعدت على ذلك، كما يبين كيفية وصول الأوائل من الآباء البيض إلى المنطقة.

6) كتاب محمد طاهر وعلي: التعليم التبشيري في الجزائر والذي يدرس ويحلل طبيعة التعليم التبشيري في الجزائر موضح برنامج التعليم ومحدد الأهداف.

7) كتاب معالم تاريخ ورقلة دينيس بيلي: هو عبارة عن كرونولوجية الأحداث بمدينة ورقلة 1872م – 1992م، وأفادنا في نشاط الآباء والأخوات البيض وتحركاتهم وتحديد الأوضاع الصحية بالمنطقة.

8) كتاب أحمد دكار: الروابط بين الحواضر الصحراوية الجزائرية في الحصر الحديث (وادي منه – ورقلة- وادي ميزاب)

أفادنا في المدخل في المدخل التمهيدي في مدينتي غرداية، ورقلة.

9) دنيس بيلي (Denys pillet): معالم في تاريخ ورقلة (1872-1992).

حيث كان عبارة عن كرونولوجيا أحداث تاريخية شاملة من عهد الاستعمار دون التركيز على نشاط الأخوات بالضبط.

10) إبراهيم مياسي: كتاب الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837م-1937م.

اعتمدنا على هذا الكتاب في الفصل الثاني لأنه يوضح الحملات الاستكشافية الأولى للصحراء الجزائرية وكيفية تغلغل الاستعمار الفرنسي إلى ورقلة، محللا الظروف والأسباب التي ساعدت على ذلك، كما بين وصول الأوائل من الآباء البيض للمنطقة.

8- خطة الدراسة:

قمنا بتخطيط الدراسة قصد الإجابة عن الأسئلة السابقة كالتالي:

استهلينا الدراسة بمقدمة ثم فصل تمهيدي تناولنا فيه البعثات التبشيرية الأولى إلى الجنوب الشرقي، ودور الأخوات البيض في تنفيذ المهمة عن طريق تعليمات وتوصيات لافيجري. وألحقناه بفصلين رئيسيين، الفصل الأول تحدثنا فيه عن نشاط الأخوات البيض في مدينة غرداية، وقسمناه بدوره إلى خمسة مباحث، حيث كان المبحث الأول عبارة عن نبذة عن مدينة غرداية فيه موقعها الجغرافي وأهميته والنظام الاجتماعي (عادات ومعتقدات...).

والمبحث الثاني تناولنا فيه نشاط الأخوات في الميدان الصحي،أما المبحث الثالث يتطرق إلى نشاطهم في الميدان التعليمي. وبالنسبة للمبحث الرابع فخصصناه للجانب المهني، وختمنا الفصل الأول بمبحث خامس تناولنا فيه نموذج عن إحدى المناطق التابعة لمدينة غرداية وهي المنيعة لكونها أهم المناطق التي شهدت تأثرًا كبيرًا بنشاط الآباء والأخوات البيض.

أما بالنسبة للفصل الثاني فقد تناولنا فيه نشاط الأخوات البيض في مدينة ورقلة، وقد اعتمدنا نفس المنهج أي (5) مباحث تتناول النبذة ونفس الميادين (صحي، تعليمي، مهني)، وتجدر بنا الإشارة إلى أن المبحث الخامس تطرقنا فيه إلى منطقة تقرت.

9- الصعوبات:

لقد صادفتنا في دراسة موضوعنا مجموعة من الصعوبات التي لا يكاد موضوع يخلو منها، ومن أمثله ما وجهناه.

- معظم الأخوات البيض المتواجدات حاليًا أو ممن التقين بهن لسن اللاتي عايشن الفترة الاستعمارية، ولسن بفرنسيات إذ أنهنّ من جنسيات أخرى (الفيتنام، بولونيا، إسبانيا، الكونغو...).
- من هؤلاء النسوة من التزمن عدم التصريح بمعلومات كما حدث معنا في مدينة غرداية.
- مجموعة من المراجع تشير إلى أن الهدف الذي جاء من أجله الآباء والأخوات البيض هو التنصير لكن بتحفظ.
- ليس هناك كتب خاصة تتكلم عن نشاط الأخوات البيض بالذات وبصفة خاصة في الصحراء الجزائرية. فضلاً عن عدم وجود مؤرخين وكتاب جزائريين كتبوا في هذا الجانب في تلك الفترة.

وفي الأخير نأمل أن نكون قد وفقنا، ولو بالشيء القليل في تقديم إضافة متواضعة تفيد في الدراسات التاريخية.

مـدخــل

مدخل:

إن الحديث عن المشروع الاستعماري، وادعاء رجال الدين حملهم رسالة حضارية كان على عاتق العديد منهم لاسيما شارل دفوكو* (CHARLES DE FOUCAULD) الذي اعتبرته الكنيسة الكاثوليكية الأب الروحي للمسيحية.* هذا الأخير الذي ركز على الجنوب الجزائري، وساهم بجد في التعريف بأقصى الجنوب الشرقي من حيث السكان ولغتهم، وطبيعة عيشهم[1]...قصد التوغل في أوساطهم. وإن كانت مسألة الوصول إلى تخوم الصحراء، ومد النفوذ المسيحي فيها يعتبر أمرا جوهريا عند لافيجري أيضا*[2] .

وعلى أساس ذلك بدأت الفيالق الواحدة تلو الأخرى تتجه نحو الجنوب،* واحتلت الواحات، فدخلت القوات الفرنسية مدينة بسكرة 1844 م من الشرق، الأغواط والبيض 1852م من الوسط، ورقلة و غرداية 1853 م، و تقرت1854م، لتصل إلى بشار، قورارة وتوات 1904 م من الغرب[3] وبامتداد التوغل الفرنسي تواصلت معه سياسة نشر الدين المسيحي الذي بدأ بالشمال الجزائري، وصولا إلى جنوبه، وكان ذلك على عهد الكاردينال لافيجري* بشكل خاص، رغم المحاولات التي سبقته من طرف بعض الكهنة أمثال فرنسوا بورغاد François Bourgade.[4] (1806-1866) و أنطوان دبوش Antoine Dupuch.[5]

وبوصول الكاردينال لافيجري إلى الجزائر تساءل منذ البداية : " كيف تظل فرنسا في الجزائر 40 سنة دون أن تنجح في تنصير المسلمين؟ "[6] قام لافيجري بتأسيس جمعية الآباء البيض في 06 أوت 1868م، وقد افتتح أول دار للرهبنة لجمعية منصري إفريقيا، وفرقة الآباء البيض لتكريس أنفسهم في المقام الأول لخدمة الأيتام في الدار المربعة* (La maisoncarré) الحراش و العطاف في 19 أكتوبر 1868م.

---

* شارل دوفوكو (charlesdefoucould) ولد في 15 سبتمبر 1858راهب و قسيس كاثوليكي فرنسي عاش فترة من عمره بين الطوارق في الصحراء الكبرى جنوب الجزائر اغتيل في ديسمبر 1916م و اعتبرته الكنيسة الكاوليكية شهيدا. من موقع الانترنت ويكيبيديا wikihttp.s//atwikipedia.org

* أنظر الملحق رقم (01) صورة شارل دو فوكو

[1] سعيدي مزيان: النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر (1867-1892 م) ط(1)، 2009 م، الجزائر ، ص 338 .

* الكاردينال لافيجري(charlesAntoines Martial Lavigerie) ولد في 31 أكتوبر 1825 في بايونبالبيرني الأطلنطية عمل أستاذ تاريخ بجامعة السربون بباريس (1856،1854) تولى منصب رئيس أساقفة الجزائر في 01 جانفي 1867. من موقع الانترنت ويكيبيديا wikihttp.s//atwikipedia.org

[2] سعيدي مزيان: المرجع السابق، ص 339.

* الملحق رقم (02) صورة تبين مراكز الآباء والأخوات البيض وسنوات تمركزهم في الجنوب لشرقي الجزائري.

[3] عبد الحميد نجاح: منطقة ورقلة و تقرت من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال، ورقلة، ط(1)، الآمال للطباعة، 2003، ص26.

* أنظر الملحق رقم (03) صورة الكردينال لافيجري.

[4] خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830 م-1871م) منشورات دحلب الجزائر 1992، ص 69.

[5] الحبيب الجنحاني: حركة التبشير و السياسة الاستعمارية في المغرب العربي القرن 19 مجلة الأصالة. العدد 16، مطبعة البعث قسنطينة الجزائر 1393 هـ - 1973 م ص 28

[6] سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي (1830م- 1954م) مج6، ط(1)، دار الفكر العربي بيروت، لبنان، 1998 م، ص 120.

* الدار المربعة بالحراش: كانت مقر تكوين الآباء البيض (انظر إلى الملحق رقم 04 صورة للدار المربعة).

وقد سميوا بالآباء البيض نسبة إلى اللباس الأبيض الذي يلبسه أعضاؤها، وكان أول من تطوع فيها 3 رجال من المدرسة الإكليركية*بالقبة ثم تلى هذا التأسيس إنشاء فرقة الأخوات البيض** (Les sœurs Blanche) في 2 سبتمبر 1869 في منطقة بئر مراد رايس* بالعاصمة [1].

وتواصلت المحاولات اللافيجرية التنصيرية إذ بعد ما تمكن من تحقيق تجربته الاستيطانية بواسطة القرى العربية المسحية بسهول الشلف، كان لا بد من إيجاد مراكز تبشيرية متقدمة في الجنوب، ومن شأنها أن تطلعه على طبيعة المنطقة، وسكانها، فاستهل الأمر ببعث ثلاثة من الأخوات البيض نحو الأغواط في ديسمبر 1870م، وصلن بعد ستة أيام من السفر المتعب، لكنهن مرضن لعدم تأقلمهن مع قساوة المناخ بالمنطقة فأمرهن لافيجري بالعودة[2] وقد أُرْدِفَتْ هذه الحملة الابتدائية بإرسال اثنين من الآباء اليسوعيين إلى نفس المكان (الأغواط) وهما الأبوان روشي (Rocher) وأوليفي (olivier). وكان هدف لافيجري ضمان الممارسة الدينية المسيحية لدى المستوطنين الفرنسيين[3].

وبتولي لافيجري لأسقفية الجزائر، تحولت الجزائر تحولا كبيرا في ميدان التنصير في عهده، حيث يعتبر أحد الوجوه التاريخية المسيحية التي أثرت بعمق على فلسفة التبشير، وطبيعتها بتفكيره و سلوكه، وجرأته في شتى الميادين، وهو يمثل خلال سنة 1868 قمة التبشير في الجزائر وإفريقيا، ويعود ذلك إلى النشاط الفعال أبداه في نشر المسيحية، ومواقفه التبشيرية التي استهدفت خدمة المصالح الفرنسية في الجزائر بالإضافة إلى التأكيد الذي حصل عليه من بعض المسؤولين الكبار :

- النشاط الفعال الذي أبداه في نشر المسيحية.
- مواقفه التبشيرية التي استهدفت خدمة المصالح الفرنسية في الجزائر.
- التأكيد الذي حصل عليه من بعض المسؤولين الكبار.[4]

---

* المدرسة الإكليركية : هي مدرسة خاصة بدراسة الأمور العقائدية المسيحية نسبة إلى الإكليورس، و هم رجال الدين المسيحيين.

** الأخوات البيض أو الراهبات الإرساليات لسيدة إفريقيا هن نساء يشكلن مجمعًا دينيًا تنصيريًا أسسه لافيجري عام 1869م رئيس أساقفة الجزائر على غرار تنظيم الآباء البيض، تتواجد في 28 دولة، بما في ذلك 15 دولة افريقية وتعمل بشكل رئيسي مع النساء والأطفال.

* الملحق رقم (05) صورة للباس الأخوات البيض.

*بئرمراد رايس: بلدية و مقر دائرة تابعة لولاية الجزائر تقع حوالي 7كيلومتر جنوب الجزائر.

[1]vois d'Afrique:cardinallavigerie (1825-1892) nouvelle série Avril-Mai 1992 Fascicule n:01 810000 centre culturel et de Documentation seharienne, Ghardaia

[2] سعيدي مزيان: المرجع السابق، ص 338.

[3] نفسه، ص 338.

[4] خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص110.

لم يخف لافيجري نواياه التبشيرية منذ الوهلة الأولى من التعيين، ويظهر ذلك في مكاتبته لوزير الشؤون الدينية بعد قرار التعيين[1] يقول هذا الأخير «إني الوحيد الذي أبديت اهتماما بنشر المسيحية وسط العرب، وقد كانت ولا زالت لي علاقة طيبة مع مسيحي المشرق العربي، وهؤلاء يجب استدعاؤهم إلى الجزائر. والتفكير في جلب المسيحيين العرب» وبتولي لافيجري لمنصب أسقف أسقفية الجزائر كان أولا وقبل كل شيء يرمي إلى أبعاد دينية وسياسية في نفس الوقت، ولتعزيز المكاسب الفرنسية بالجزائر، وقد عبرت عن ذلك رسالته الموجهة إلى رهبان الجزائر يوم5 ماي 1867 فقد قال «سآتيكم إخواني في ساعة مشهورة لتاريخ إفريقيا المسيحية، إن الكنيسة وفرنسا متحدتان على إحياء الماضي»[2].

أدرك لافيجري مقام المرأة الجزائرية، وجه اهتمامه إلى سبل التأثير عليها، فالمرأة مدار الحياة الاجتماعية، والوصول إليها وصول إلى الأسرة كلها. لهذا عمل على تأسيس فرقة خاصة بالتبشير وسط العنصر النسوي، فقد كان يقول باستمرار « عند المسلمين لا يوجد سوى المرأة التي يمكن أن تحابه المرأة، وتوصل إليها تعاليم المسيحية، وأنوارها الحضارية» وصلت إلى الجزائر عام 1868م ثمانية (8) بنات مسيحيات منهن اثنين لم يتعدى عمرهن السادسة عشر (16) سنة جلبهن الأب لوموف(LEMOUF) من مقاطعة بريطانيا (la Baretagne) بفرنسا، جمعت هؤلاء البنات في ملجأ سان شارل (SAINTCHARLES) بالقبة قرب مدينة الجزائر تحسبا لتكوينهن سيكلفهن بيتامى الملجأ وتعويد أنفسهن على العمل الفلاحي، وكذا لمهامهن التبشيرية مستقبلا[3].

لقد حملت هذه الفرقة عدة تسميات قبل أن يستقر اسمها على ماهي معهودة عليه في المصادر التاريخية فعند تأسيسها الأولي عرفت باسم:

1) Les sœurs Agricoles et Hospitalieres du vénérable geronino.
2) Les sœurs de la Mission.
3) Les sœurs de Notre Dame des Missions D'Afriques.
4) La société des sœurs Enseignates et Hospitalière de Notre Dame des Missions D'Afriques.
5) La société des sœurs Missionnaires de notre Dame d'Afrique.

[1] خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 110.

[2] نفسه، ص 111.

[3] سعيدي مزيان: المرجع السابق ص 85.

لكن التسمية الأكثر تداولا هي الأخوات البيض (les sœurs blanches)لارتدائهن المتميز للجبة البيضاء توازيا مع إخوانهن البيض[1]. لقد وضع لافيجري ثلاث قواعد لهذه الفرقة أصبحت تعتمد عليها فيما بعد وهي كما يلي:

1- أن هدف هذه الفرقة من التسلح بالصبر لأن العمل شاق وطويل، والعمل بالحذر لأنه ضروري لبلوغ أي هدف واستعمال العمل الخيري كوسيلة أساسية في التبشير.

2- أن يكون شعار هذه الفرقة المحبة والتكتل، لأن في ذلك قوة تعمل على الوصول على الأهداف التبشيرية[2].

[1] سعيدي مزيان: المرجع السابق ،ص 86-87.

[2] خديجة بقطاش: المرجع السابق ،ص 130.

الفصـــل الأول

نشاط الأخوات البيض في مدينة غرداية

المبحث الأول: نبذة عن مدينة غرداية

المبحث الثاني: نشاط الأخوات البيض في الميدان الصحي

المبحث الثالث: نشاط الأخوات البيض في المجال التعليمي.

المبحث الرابع: نشاط الأخوات البيض في الجانب المهني.

المبحث الخامس: نشاط الأخوات البيض في مدينة المنيعة (أنموذجا)

خلاصة الفصل

المبحث الأول: نبذة عن مدينة غرداية

1) الموقع الجغرافي لمدينة غرداية و أهميته:

أسست مدينة غرداية في القرن (11) الحادي عشر (1048) تتربع على مساحة 86.609 كلم يحدها من الشمال الأغواط ،جنوبا تمنغاست ، شرقا مدينة ورقلة، من الجنوب الغربي مدينة أدرار، و من الشمال الغربي البيض[1]، توجد في موقع إستراتيجي و جغرافي و توجد في ناحية شمس جغرافيا شبكة ميزاب[*] وتعتبر من أهم المدن التجارية بالواحات و سوقها أكبر الأسواق نشاطا، و اشتهرت بالمصنوعات الجلدية مثل الأحذية ذات الطابع الصحراوي و المحافظ، و أيضا المصنوعات الصوفية (البرنوس– الجلابية ...)[2].

لقد إختبر الوافدين من الإباضية على باد الشبكة لبعدها عن طرق القوافل التجارية المعروفة آنذاك، و حرصا منهم على اعتزال الحركات التجارية، و ما تؤدي إليه من الرفاهية و جلب الطامعين.[3]

إلا أن القوافل التجارية لم تلبث أن حولت مسالكها ، فأصبح ميزاب محطاً لها، و همزة وصل بين الشمال و الجنوب، و بين الشرق و الغرب، و مما ساعد على ذلك سقوط سدراته، بخرابها عام 1274 م، ثم خراب تمنطيط1492 م.[4]

2) النظام الإجتماعي:

إن أغلبية سكان وادي ميزاب أمازيغ، و السكان الأوائل الذين استوطنوا المنطقة قبل الإسلام هم بنو مصاب الزناتيتين و ابتداءًا من القرن 5 هـ، الحادي عشر ميلادي، وفدت عليهم مجموعة من ورقلة و سدراته و وادي ريغ ذات الأصول الأمازيغية مع فئة قليلة من أصول عربية فارسية من سلالة عبد الرحمان بن رستم، ثم توافدت عليها أجناس أخرى من ضمنها المذابيح و أولاد يحي، و بنو مرزوق و اليهود[*] (و ما يذكر أن اليهود بواد ميزاب عاشوا دون مشاكل تذكر)، ثم توافدت إلى المنطقة أواخر القرن الثالث عشر (13) و مطلع القرن الرابع عشر (14) مجموعات من قبائل بني هلال و بني سليم.[5]

---

[1] مقالة عين ميزاب: في الصحف الجزائرية ، ولاية غرداية حضارة و أصالة الموقع حضارة ميزاب ، البيئة الإكولوجية بميزاب الإثنين 2009/10/19.

[*] بلاد الشبكة: سميت بذلك لأنها تتخللها أودية عديدة لا يتجاوز عمقها 100 م تتجه كلها من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي لتنتهي عند بحيرة تكتنفها الرمال شمال غرب ورقلة.

[2] إبراهيم محمد الساسي العوام تعليق الجيلاني بن إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ط2،الأبيار الجزائر، دار تالة، 2009، ص 37.

[3] يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني ميزاب دراسة إجتماعية ،إقتصادية و سياسية ، ط 3، المطبعة العربية 11 نهج طالبي أحمد غرداية ، 2014 ، ص 51

[4] نفسه، ص 51.

[*] أنظر الملحق رقم (06) خريطة الموقع الجغرافي لمدينة غرداية وقصورها.

[5] أحمد دكار: المرجع السابق ص 90، 91

3) الممارسات الدينية:

لم يكن الإسلام غريبًا عن منطقة غرداية حيث انتقل إليها عن طريق نزوح الرستميين بعد سقوط دولتهم 296 هـ – 908 م (الدولة الرستمية أول دولة إسلامية في المغرب الأوسط للجزائر) وحطوا رحالهم في ورقلة و وادي سوف، و أسسوا مدينة سدراته بجوار ورقلة، و حاولوا بعث الدولة الرستمية من جديد ولكن علماء المذهب نصحوهم بعدم تكرار التجربة، و ظلت هيئة الجماعة هي التي تسير الشؤون الدينية و الاجتماعية إلى أن اهتدى أبو عبد الله محمد بن بكر بن يوسف الفرسطائي* النفوسي إلى تأسيس حلقة العزابة في مطلع القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي في منطقة تسمى تنسلي لبلدة عمر بوادي ريغ، سنة 409 هـ 1018 ميلادي، ثم نزحوا إلى غرداية واستقروا فيها، [1] ،(معتمدين على المذهب الإباضي)، و بقيت هذه الحلقة على نفس النهج حيث كانت تمثل السلطة الروحية لكل قصر من قصور غرداية، إذ تتدخل هذه الحلقة في الأمور الدينية، الاقتصادية والاجتماعية ، وتعنى بالمباني الدينية من مساجد، ومصلات ومقابر ومدارس، ويكون المسجد هو مكان اجتماعها.[2]

و يعتبر التعليم الديني، سيما تحفيظ القرآن الكريم من أبرز التقاليد الراسخة المنتشرة عبر قصور* وواحات غرداية، و رغم ذلك فإن الأمر لم يخلو من ظهور الصراعات التي كانت قائمة بين المذهبين المالكي الذي يتبعه العرب من قبائل المذابيح والشعانبة* ، أو بني ميزاب من أتباع المذهب الإباضي. ولا يزال الصراع قائماً إلى يومنا هذا.

4) المرأة:

أخذت المرأة في غرداية مكانة مرموقة فكانت تمد يد العون لزوجها بالعمل المنزلي الحرفي، و عرفت المرأة الميزابية بالستر و الحشمة و نوعاً من الانغلاق على حياتها و مازالت إلى يومنا هذا تكتسي طابع الستر، حيث يخرجن إلى الشارع برداء اللحاف الأبيض المعروف في وادي ريغ كما يطلق عليه " الغمبوز" ، وهو ما شهدناه بأم أعيننا خلال زيارتنا لولاية غرداية و تجولنا في شوارعها وأزقتها.[3]

---

* الفرسطائي: هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر يوسف الفرسطائيالنفوسي، ولد بمدينة فرسطا بجبل نفوسة بليبيا حوالي 360 هـ – 970 م

[1] أحمد دكار: المرجع السابق ص 68

[2] نفسه، ص 74.

* قصر العطف: قصر بونورة، قصر غرداية، قصر بني يزقن، قصر مليكة ، قصر القرارة، قصر بريان.

* الشعانبة: ينحدر من علاق بن عوب من بني سليم جاؤا إلى أفريقيا الشمالية مع الموجة الأخيرة للغزو الهلالي في أوائل القرن الرابع ميلادي (14م) وقد استقرت الجماعة الأولى للشعانبة في منطقة متليلي التي تقع على بعد 15 كلم من غرداية، ومنها أخذت تنتشر في مناطق الصحراء وينقسم الشعانبة إلى قسمين الشارقة والغاربة.

[3] محمد صالح ناصر: معجم أعلام الإباضية، منذ القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، أحبة البحث العلمي المجلد الرابع، من الحرف الألف إلى الياء ، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر 1999، ص 742

كان اقتصاد المنطقة قائم على تعاون كلا الجنسين فبينما يظل الرجل في بستانه مكابداً لقساوة الطبيعة وصاداً لغارات البدو، كانت المرأة في منزلها تغزل وتنسج علاوة على قيامها بشؤون البيت[1] ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط بل برزت بعضهن في ميدان العلم، أمثال " مامة بنت سليمان بن إبراهيم باباز (1963م – 1931م) " و هي زعيمة و عالمة من عشيرة أولاد يونس بغرداية[2].

المبحث الثاني: نشاط الأخوات البيض في الميدان الصحي:

عرفت الأوضاع الصحية في الجزائر بصفة عامة إبان الفترة الاستعمارية ترديًا، حيث شهدت انتشار العديد من الأمراض، والأوبئة، المجاعات (1866-1867/1868)، كما ساهمت الفيضانات والكوارث في تفشي هذه الأوبئة، وزيادة نسبة العدوى، وهلاك السكان، وتأزم الأوضاع الصحية عامة.[3]

ولم تولي السلطات الاستعمارية أهمية للميدان الصحي، حيث يخصص طبيب واحد لكل 30 ألف شخص، كما تحتوي الجزائر كلّها على 149 مستشفى منها (12 مستشفى عسكري، و28 مستوصف) إذ تفتقر أغلبها إلى أبسط وسائل العلاج.[4]

والجنوب الشرقي جزء من الجزائر الأم وحاله من حالها، وربما يكون أسوء، إذا كانت الحياة الصحية في هذه المناطق تعتمد منذ القدم على تجارب السكان، وتخضع العلاجات الطبية إلى اجتهادات عديدة وبمرور الزمن تطورت واتخذت من الطب الشعبي طرقًا ووسائل للعلاج الصحي.[5]

وفي إطار التوسع الاستعماري، ولما كان التبشير أحد وسائله فإن عددًا من رجال الدين المسيحي قاموا بتأييد بعض رجال الاستعمار في الجزائر وعلى رأسهم الكردينال لافيجري (مؤسس جمعية الآباء البيض 1867، والأخوات البيض 1868م) حيث استغل هذا الأخير الظروف الصحية التي كان يمر بها الشعب الجزائري، عندما تعرضت البلاد إلى الكوارث السالفة الذكر (جفاف، أمراض، مجاعة)، ورغبة منهم في كسب

[1] يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 51.

[2] معجم أعلام الإباضية، منذ القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، جمعية التراث أحبة البحث العلمي المجلد الرابع، من الحرف الفاء إلى الياء ، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر 1999، ص 742

[3] جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طباعة المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ط1، 1994، ص 88

[4] نفسه. ص 88

[5] فردوس محلي: الأمراض والأوبئة في منطقة وادي ريغ: ط1، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، ديسمبر 20 ص 26.

ودّ السكان الجزائريين اهتموا بدعمهم في الجانب الصحي، وقد شمل هذا الإجراء كامل التراب الوطني الجزائري بما فيه الجنوب الشرقي ورقلة، غرداية موضوع دراستنا في مبحثنا هذا.[1]

أدرك الميزابيون أن مسألة التبشير أبعد من أن تكون تفضيل دين على دين آخر، بل هي محاولات جادة ترمي إلى المساس العميق بالجذور الثقافية للفرد المزابي، ما جعل هيئاته الاجتماعية تقاوم ذلك بشتى الطرق، مما انعكس سلبًا على حصيلة الفعل التبشيري التي كانت مخيبة للآمال (رغم استغلالهم لحالة التعاسة التي كان يعيشها السكان).[2]

وهنا بدأ الآباء البيض يتخلّون تدريجيًا عن محاولات التحويل الديني الصريح، ويكتفون بالعمل الخيري لتسويق البعد الإنساني على كل الأنشطة التي كانوا يقومون بها، ويظهر ذلك جليًا عندما انصب اهتمامهم بالتمريض عملاً بتوصيات مؤسس جميعتهم " لافيجري"، ما جعل هذه الجمعية ترسل أعدادًا معتبرة من الآباء والأخوات البيض إلى المعهد الإفريقي لتكوين الأطباء و الممرضين بعد تأسيسه سنة 1881 في مالطا. [3]

ولإدراك مدى استجابة الميزابيين للممارسات الطبية المسيحية وموقفهم منها، يجب الإشارة إلى أن المنطقة قد شهدت ندرة في تقديم الخدمات الطبية مما تسبب في كثرة انتشار مختلف الأمراض والأوبئة، وارتفاع معدّلات الوفيات على غرار ما كانت تعاني منه كل المناطق الجزائرية.[4]

كما أن الممارسات العلاجية التقليدية التي تعتمد على الطرق والأسس غير العقلانية والخرافية كانت هي السائدة حينها. الأمر الذي جعل الآباء والأخوات البيض يقتحمون هذا الفضاء منذ دخولهم منطقة مزاب، وكانوا يدركون جيدًا أن التفاعل في المجالين المدرسي والطبي خاصة هو المجال المفضل لصراع وتحاور الذهنيات.[5]

ولذلك أوكلت المهمة للأخوات البيض حتى يتمكن من اقتحام الأوساط النسائية، وبمجرد وصول واستقرار الأخوات جوزفين ولوويز، وسان كلوتيد في 27 ديسمبر 1892م في شارع عفافرة[6]، بدأت في

[1] عبد القادر فكاير: دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1962)، النشر الجامعي الجديد الطباعة للنشر والتوزيع تجزئة تعاونية الدواجن حي الدالية الكيفان تلمسان، 2021 ص 20.

[2] عمر داود: الحركة التبشيرية في الجزائر (نشاط الآباء والأخوات البيض في غرداية أنموذجًا مقاربة سوسيو-تاريخية، دار نزهة الألباب للطباعة والنشر والتوزيع،ط1، ص 161).

[3] نفسه، ص 161.

[4] نفسه، ص 161.

[5] نفسه، ص 162.

[6] sœur blonche,opcil, p2

ممارسة مهامهن الطبية بمسكنهن، فاستقبلن نساء حيهن بادئ الأمر، ويعد هذا بداية لنواة عيادة في 21 جانفي 1893 ليعم الأمر باقي نساء المنطقة، رغم المعارضة الشديدة التي كنّ يعانين منها.[1]

واستمرت الأخوات في ذلك إلى غاية 1895م حين أنشأ الآباء البيض المستشفى المدني والأهلي 1895م المسمى بمستشفى القديسة مادلين (Saint Madeleine) في منطقة تيضفيت*.

ثم أصبح هذا المستشفى يستقبل العسكريين والمدنيين الأوروبيين أيضا، بعد الاتفاق مع السلطات الفرنسية.[2]وتعم تخصيص جناح غير تام بالمستشفى لإقامة الأخوات البيض فانتقلن من حيهن وأقمن في المستشفى.[3]

ثم أنشأت السلطات الفرنسية مستوصفًا بالحي الجديد، وآخر بحي باب الراعي (الحفرة)، وتم منح المستوصف للأخوات [4] وبالرغم من الأحكام الدينية المسبقة للسكان فقد كان الآباء يستغلون المدرسة لتمرير فكرة أن الطب لا يعتمد على الطقوس السحرية والخرافية بل يتطور بفضل المعارف العقلانية التي تنشرها المدرسة.[5]

وفي عام 1900 حوّل المستشفى العسكري* من البرج إلى تيضفيت أيضا الذي أصبح بعد ذلك عيادة للأهالي على مقربة من مستشفى القديسة مادلين للسماح بالعلاج وتمّ منحه بعد ذلك للأخوات وأصبح بالمنطقة مستشفيين.[6]

ونظرا لما حققه نشاطهم الطبي من حالات شفاء لعدة أمراض وانتشار ذلك بين السكان، بدأ موقف هؤلاء السكان يتأرجح بين الفضول والمصلحة، وبدأ الأمر يصبح مقبولا نسبيًا، ونجح الطب في إثارة الانطلاقة نحو الانقلاب على بعض الأفكار الثقافية الدينية المسبقة. [7]

ويعترف المنصرون أن المساعدة الطبية لم تجلب أية نتيجة لهم في مزاب، حيث فضل بعض الميزابيون الوفاة أمام مرأى أعين والديهم أفضل من التحاقهم بالمستشفى، واعتبروا أن تلك الأدوية نجسة تجلب العيب، أما

[1] عمر داود: المرجع السابق، ص 162.

*تيضفيت: المركز الثقافي للوثائق الصحراوية حاليًا، وهو مقر الأسقفية.

[2] الحاج سعيد يوسف: تاريخ بني ميزاب دراسة اقتصادية واجتماعية وسياسية المطبعة العربية غرداية، ط2، 2006، ص284.

[3] Sœur Blanche: Quel que souenir sue le poste de Ghardaïa, docementnuméro: 01, 230.000, 11.doc: x160G ,p1.

[4] opait, p2

[5] Ibid, p2

*أنظر الملحق رقم (07) صورة للمستشفى العسكري في حي تضفيت.

[6] Ibid, p1

[7] عمر داود: المرجع السابق ص 163.

بنو مرزوق* والمدابيح* فقد قبلوا خدمات القطاع العسكري – منذ السنوات الأولى- الذي عرض تلقيح الأطفال أما بنو مزاب فقد تعاقبوا على المستشفى تدريجيًا وبتحفظ شديد. وفي سنة 1901 عالج الآباء والأخوات البيض في السداسي الأول 2459 مريضًا، وفي السداسي الثاني من السنة نفسها 3424 مريضًا[1].

وبطلب من المرضى أصبح الأطباء الآباء البيض ينتقلون إلى منازل بعض مرضاهم لعلاجهم،وقد تم غلق المستشفى العسكري بطلب من الآباء البيض في 17 جوان 1910، كما أغلق مستشفى القديسة مادلين بعده، كذلك لتبقى الأخوات في البنايات التابعة لمقر المنصريّن، وقمن بفتح عيادة خاصة، والمعروفة فيما بعد باسم الملحق (Annexe)، وتلقين قليلاً من أدوية الإغاثة من الجيش كما فوضت جماعة المستشفى ثلاثة أو أربعة أخوات لمهمة الغابة.[2]

وشهدت سنة 1912م تبديل المسكن بين الأخوات والآباء حيث نقل الآباء مدرستهم، ومسكنهم إلى حي تيضفيت، والأخوات أقمن عملهن في 15 ديسمبر في باب الراعي (الحفرة)، الذي فتحن فيه عيادة.[3]

للتقرب أكثر إلى العائلات المزابية، وتمكينهم من الرعاية الطبية، وخاصة التوليد الذي قامت به القابلات من الأخوات، وكانت هذه المهنة فرصة للاتصال بهاته النسوة والتعرّف عليهن، وبعد نقل العيادة إلى ذلك الحي، أصبحن يعالجن فيها النساء والأطفال رغم ذلك فقد كان احتكاك المزابيون قليل بهذا المستوصف، ولم تكن الأخوات تخرجن كثيرًا، فالمزابيات لا يستقبلهن إلا تحت ضغط الأخت ماري كلوفر* (Marie clover) التي تلح بالدخول إلى المنازل، وتتحجج بالتبريرات إذا لزم الأمر، للدخول إلى ذلك المكان المنغلق.[4]

وقد كانت بعض المزابيات يرفضن رفضًا قاطعًا دخول الأخوات البيض، ويؤكدن بأنه ليس هناك مرضى وأن لا سبب لدخولهن، وفي حالة دخول الأخوات عند بعضهن كانت النساء يدرن وجوههن، وينتظرن ذهاب الأخوات بدون التلفظ بأي كلمة. [5]

---

* بنومرزوق: قبائل قدموا من القطاع الوهراني ومن مختلف أنحاء الصحراء الجزائرية عاشوا حياة بدوية واستقر معظمهم في قصر غرداية.

* المدابيح: قبائل عربية تدين بالمذهب المالكي استوطنت غرداية.

[1] وثيقة مرقونة تحمل رقم 1310 موجودة بمكتبة حواش عبد الرحمان مؤرخة يوم 23 جانفي 1930 عنونها.

Rapport de la mission catholique de Ghardaïa, on par : Belandou commandant militaire du territoire de Ghardaïa , à : meynier gouverneur général des territoires du sud, p3.

[2] عمر داود: المرجع السابق، ص 164.

[3] Sœur blanche, op.cit p:2.

* ماري كلوفر: هي إحدى الأخوات البيض، وصلت إلى غرداية 1933 ودامت إقامتها الأولى في ميزاب 16 سنة، اهتمت بنباتات وحيوانات المنطقة الصحراوية وأنجزت بحوثًا حولها، بالإضافة إلى اهتمامها بحرفتي صناعة الزرابي والآلات الموسيقية بلغ عدد بحوثها 58 بحثًا صغيرًا.

[4] Michel gagnon: Aperçu sur l'histoire de la mission au Sahra, fascicule 2, Souvenirs de sr denis (1980), Laghouat (Algérie) 2000, p 140

[5] Ibid, p.140

كما شهدت فترة ما بين 1945م – 1946م تفشي الحمى الراجعة التي سببت ضحايا في أوساط السكان وكانت الأخوات يخرجن بانتظام في أربعة مجموعات كل يوم لذا قام العديد من المرضى بدعوتهن، حيث أصيبت بعضهن بمرض السل.[1]

وابتداءً من سنة 1948م قامت الأخت جنفياف مينولت (geneviéve Ménoult) بعملها كقابلة في البيوت خاصة في الوسط المزابي، الذي اعتبر حتى تلك اللحظة مكان مغلق رغم الجهود (المفرطة أحيانا) من طرف الأخت كلافر.[2]

وفي شهر نوفمبر انتشر وباء الملاريا، مما جعل الأخوات يشاركن في الجولة الصحية في المدن المجاورة.[3]

على أنه أمثلة الأخوات اللاتي نشطن أيضًا في مجال التوليد المدعوة ماري ألما (Marie ALMA)* حيث بدأت مهنتها كقابلة في البيوت منذ 23 أكتوبر 1953[4]

واستمرت في هذه المهمة لمدة 23 سنة، حيث وصفت الوسط المزابي في بداية الأمر بالمنغلق بشدة... حيث المسكن منغلق... والمرأة متخفية ولا يمكن للأخوات اختراقه، ولكن فيما بعد طالب الوسط المزابي بإلحاح ولعدّة مرات، وبتكرار الالتماس الحصول على بقائها.[5] وهذا حسب شهادة الأخت ماري تريز فريدرنيش (Marie Thérése Freudenrieche) وقد تم تقييم الأخوات بعدّة شهادات اعتراف من قبل المزابيين، وتم منح تعويضات اجتماعية ومنح عائلية، وهو ما أسعد كثيرًا الأخوات، حيث تمكن من إقامة علاقات مع الوسط النسوي للمجتمع المزابي للدور الطبي الذي قامت به الأخوات.[6]

لا تزال النساء في غرداية يتذكرن الأخوات البيض اللاتي قدّمن خدمات طبية في قطاع الصحة، وتعتبر الأختين ماري كلافر – ماري ألما، من أكثر الأخوات المترددات على البيوت في غرداية، ورغم المعارضة التي تلقّينها في البداية الأمر، إلا أن الوضع تطور فيما بعد إلى إقامة علاقات ودية مع النساء حيث كن يتبادلن الحديث معهن في عدة أمور في حياتهن.

ورغم ذلك لا يمكن اعتبار ذلك فعلا مرحبا بالآباء والأخوات البيض في منازل السكان كما اعتقدوا

---

[1]Michel Gagnon: OP.CIT. Fascicule 3 P52.
[2]Michel Gagnon: OP.CIT. Fascicule 1 P33.
[3]Michel Gagnon: OP.CIT. P07

* ماري ألما: أخت من الأخوات البيض ولدت في 19 ماي 1907 في فيلادلفيا بنسيلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية، عملت قابلة في غرداية، توفيت في 30 يوليو 1991.

[4]Sœur blanche, op.cit. p07.

[5] Marie alma: La mémoire de sœur marie Alma Sage femme de Ghardaïa, fascicule numéro: 01.23000011.doc: x dossier établi le 21 mai 1997 par sœur marie Rérése.
[6]Gagnon. Op.cit. fascicule 3, victoria… p170.

ولما سمحت هذه الممارسات الطبية بالاتصال والتواصل مع سكان المنطقة، والاقتراب منهم أكثر. والتعرف على البنيات الداخلية لمجتمعهم وخصائصها، إلا أن المعارضة كانت واضحة من حلقة الغرابة والعلماء وهيئة النساء الميزابيات خوفا من أن يمس فضاؤهم الرمزي ومنظومتهم القيمة. وهذا ما يعكس ثقل القيم الدينية والثقافية السائدة، وتبين مدى تمسك المجتمع الميزابي بعاداته وأعرافه[1].

كما أن العديد من الوثائق والمراسلات أثبتت مقاومة الشيخ أطفيش لفكرة تواجدهم خاصة في بني يزقن رغم محاولاتهم لشراء أو كراء مسكن لمزاولة نشاطاتهم في التعليم المهني والتطبيب ما جعل السكان يستعدون لمقاومة ذلك بشتى الطرق[2].

المبحث الثالث: نشاط الأخوات البيض في المجال التعليمي.

كان التعليم في الجزائر قبل الاحتلال 1830م، يلقى داخل مؤسسات كالكتاتيب القرآنية والزوايا، والمدارس الدينية... وكانت الزوايا تفتح أبوابها للصغار ليتلقوا فيها دروس حول مواد دينية وغير دينية في المدن والأرياف، وكانت تساهم في تكوين الأجيال الصاعدة وتحضّر الشباب قصد إرسال أحسنهم لإتمام الدراسة في تونس والمغرب الأقصى، أما الكتاتيب القرآنية فكانت تعلم القراءة، والكتابة والقرآن الكريم، وكانت هذه الأخيرة موزعة شمالاً وجنوبًا، حيث استمرت بعض الزوايا في الجنوب في أداء دورها التعليمي الذي اقتصر على تحفيظ القرآن الكريم، وبعض العلوم الشرعية والفقهية.[3]

أما بالنسبة للتعليم في هذه المرحلة من الاحتلال الفرنسي فقد تميزت في البداية بانعدام التعليم الأهلي التبشيري، رغم وجود التعليم الموجه لأبناء الأوروبيين، إذ قامت سلطات الاحتلال بإلغاء مؤسسات التربية والتعليم التي كانت سائدة من كتاتيب وزوايا، وبمصادرة أملاكها ومطاردة العلماء وتشريدهم.[4]

كما أنشأ الاحتلال مدارس، واعتمد طرقًا ووسائل تهدف إلى إحلال الثقافة الفرنسية محل الثقافة العربية الإسلامية، فقد قوبل هذا التعليم على وجه العموم برفض السكان الأهالي عندما تبيّن لهم أن هدفها ليس تعليم أطفالهم، وإنما تنصيرهم، فقررت الإدارة الفرنسية إنشاء مدارس خاصة بالأطفال الجزائريين سنة 1838م.[5]

وقد اهتم الآباء البيض منذ قدومهم إلى غرداية بالتعليم فأسسوا أول مدرسة لهم، رغم معارضة السلطات العسكرية الفرنسية وعلماء وأعيان المنطقة إلا أن المدرسة قد استقبلت في سنتها الأولى 15 تلميذًا ثم

[1] - prefectur,Apostolique de Ghardaia, dans : Missions d'Afrique des péres

[2] - المراسلة المؤرخة في 29 جانفي 1914: السيد داود بن الحاج بكير إلى الأب باردو.

[3] الطاهر زوهوني: التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية الجزائر 1994 ص 13.14.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1830م. 1954م مج6، ط1، دار الفكر العربي بيروت لبنان 1998م. ص116

[5] نفسه، ص116.

وصل العدد إلى 24 تلميذًا من اليهود والعرب. مما جعل السلطات الفرنسية تفتح مدرسة موازية لمدرسة الآباء البيض بأعالي مدينة غرداية في 1885م، ثم أصدر الحاكم العسكري الفرنسي أمرًا بإجبارية التعليم بعد رفض العائلات تعليم أبنائهم بكلتا المدرستين.[1]

وقد عرفت مدرسة الآباء البيض[*] خلافات ومناوشات كثيرة بين التلاميذ اليهود والمزابيين مما أضطر الآباء البيض إلى نقل مقر المدرسة إلى حي باب الراعي بوسط المدينة في 1887م[2] لتقريبها من المزابيين بغية جلب أعداد من أبنائهم للانضمام إلى المدرسة.[3]

أما عن البرامج المعتمدة فقد تمثلت في تعليم اللغة الفرنسية والحساب، التاريخ والجغرافيا، إضافة إلى بعض قواعد اللغة العربية، ويتحصل الطالب في النهاية على الشهادة الأهلية الابتدائية.[4]

وبالنسبة للحجم الزمني فقد كان في حدود 8 ساعات في اليوم أربعة (04) منها تخصص لتلقي الدروس، والأربع الأخرى للمطالعة، ونشاطات أخرى.[5]

والجدول التالي رقم (01) يبين عدد التلاميذ بمدرسة الآباء في غرداية من سنة 1884 إلى 1930.[6]

السنوات	عدد التلاميذ	العدد الحاضر باستمرار
23جانفي إلى أفريل 1884	15	/
مارس1890	50	/
ديسمبر1894	100 – 90	75 – 70
ديسمبر1896	/	/
1900	49	27
7فيفري1907	100 – 80	/
نوفمبر 1914	/	/
1921	73	37
1926	63	/
1928	105	/

[1]Dahbiaa brous, la satiété des société des missionnaires d'Afrique a l'épreuve du mythe berbère kabyle- Aurès- Mzab, édition Peeters, paris , 2007, p88.

[*] أنظر الملحق رقم (08) صورة لمدرسة مختلطة لتعليم الأطفال.

[2]Ibid, p 95.

[3] عمر داود: المرجع السابق، ص 140.

[4]نفسه، ص 140.

[5]محمد الطاهر واعلي: التعليم التبشيري في الجزائر منذ 1830 إلى 1904م منشورات دحلب المؤسسة الوطنية للفنون وحدة الرغاية، الجزائر ص 137.

[6]الأرشيف الغير مصنف، بمكتبة البحوث بالمركز الثقافي للوثائق الصحراوية: غرداية، مكتوب على علبه الأرشيف.1976 – 1884 Ghardaïa: école des pères blancs

.

1930	108	/

الملاحظ من خلال إحصائيات الجدول أن عدد المسجلين من المتمدرسين قد ارتفع في الثلاثينيات وذلك بسبب توظيف الأباء البيض لمجموعة من المعلمين الجزائريين حيث استأنس السكان بهم لكونهم عرب مسلمين وكان لهم التأثير الكبير في جلب أعداد أكثر، ومن أمثالهم فنداغة سالم الذي عمل بالمدرسة من 1919إلى 1945 والطبيب زاي بين 1929 – 1947 وعدّون محمد من 1933 – 1944 .[1]

منحنى بياني يمثل عدد تلاميذ لمدرسة الآباء في غرداية مابين 1884–1930

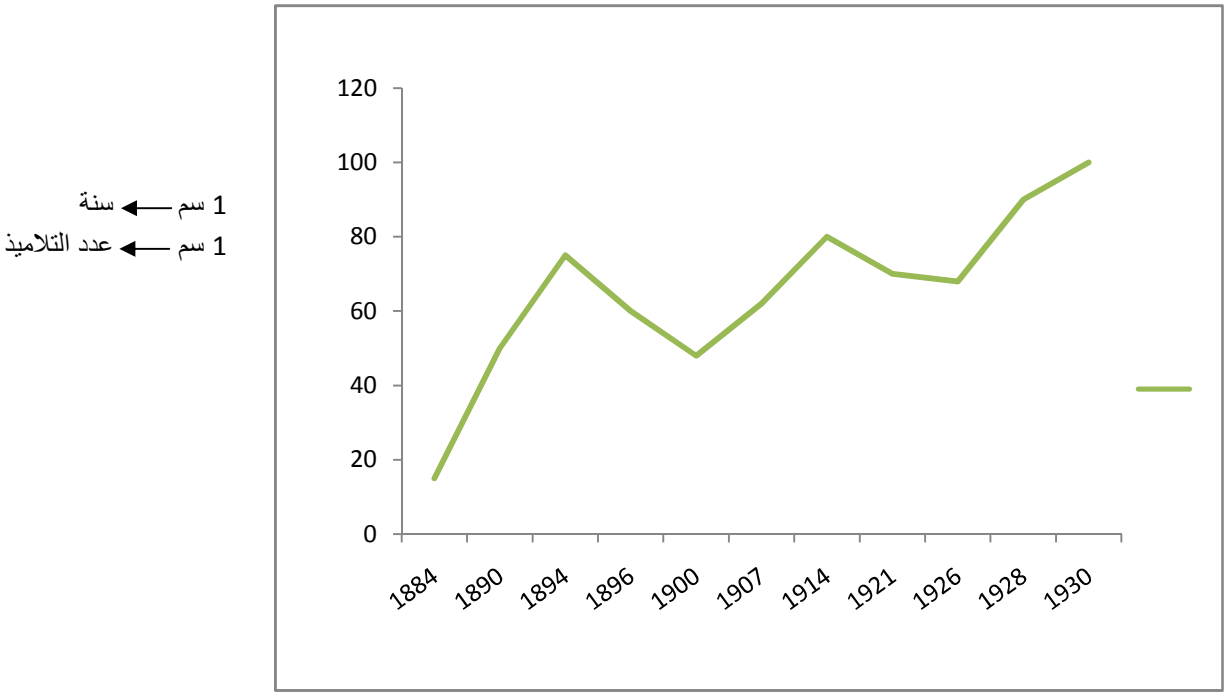

أما المدارس التي تشرف عليها الأخوات البيض فقد وجهت خصيصا لتعليم شريحة معينة، وهي فئة الأطفال، ففي سنة 1950 دشنت مدرسة جديدة هي لاسورس(la source).[2] التي بنيت تحت رعاية مريم العذراء (Notre Dame) المدرسة بحضور السلطات المدنية والدينية والعسكرية، تتضمن المدرسة القسم التحضيري إلى نهاية المرحلة الابتدائية وكان الدخول إليها عن طريق امتحان صغير يحصل فيها الأطفال أثناء دخولهم على منحة رمزية، وقد فتحت المدرسة أبوابها سنة 1951م.[3]

[1] Ibid.
[2] Michel Gagnon: Aperçu sur l'histoire de la mission au Sahara, fascicule 3, victoria augeron: comment je suis devenue sœur missionnaire de N.D. D'Afrique, Laghouat (Algérie), 2000, p170.
[3] Gagnon. Op.cit. Fascicule 1.mgr Nouet Guston (1919-1941) p170.

لتشهد لأول مرة قدوم الفتيات المزابيات للدراسة.[1] وفي سنة 1952م بني طابق في المدرسة لتغطية نمو نشاط التدريس[2] وقد بلغ عدد الفتيات المزابيات المرتادات لمدرسة الأخوات البيض في ذات السنة 4 إلى 5مزابيات فقط.

- لقد عرفت مدرسة الآباء البيض عدة صعوبات في بداية الأمر وأثناء محاولة تنصيبهم في مزاب، حيث لم يقتصر الأمر على معارضة الهيئات العرفية، بل تعداه إلى السلطات الفرنسية التي كانت تطبق نظامًا عسكريًا في الجنوب، وما تحفّظها إلا تخوّف من رد فعل غير متوقع من قبل السكان. وهذه المعارضة سببت لهم نقصا في الوسائل، ولكن بعد إقرار القائد الفرنسي إجبارية التعليم عرفت مدرستهم توافد الكثير من التلاميذ نظرًا لتساهلها مقارنة بالمدرسة اللائكية، وعرفت المدرسة توافدا للمزابيين منذ نقلها إلى خارج الحي اليهودي. ولم تخلوا المدارس المسيحية من الطابع التنصيري، حيث لم يقتصر التعليم على الجانب المعرفي والتقني بل تعداه إلى تقديم دروس عرفت بدروس الأخلاق.

الجدول رقم (02) التعليم العام في مدرسة الأخوات البيض.[3]

السنوات	عدد الأقسام	عدد التلاميذ	الفئات
1أكتوبر1956	04	110	/
1958	/	151	/
1959	/	158	10 مزابيات

ومما لاحظناه أنه ما كان يميّز مدرسة الآباء البيض عن المدرسة الحكومية الفرنسية هو طبيعة كل من عمليتي التسيير، والتدريس، حيث كان رجال الدين المسيحيين يتولون ذلك، كما أنها لم تسعى لمحو إسم الله من أذهان التلاميذ، على غرار المدرسة الحكومية الفرنسية التي كانت تصرح علنا باتجاهها اللائكي* في تعليمها، بينما كان الآباء البيض يقدمون دروسًا في التربية الروحية المسيحية (Les leçons de morale) وتقوم أساسا على تعليم القيم كإتقان العمل، الصبر، والتسامح والإخلاص... بالاعتماد على تعاليم الإنجيل في تدريسها.[4]

[1]Ibid , P 34.
[2]soeur Blanche. Op.cit. P06.
[3] أرشيف غير مصنف بمكتبة البحث بالمركز الثقافي للوثائق الصحراوية يحتوي مجموعة وثائق مكتوبة على علبة الأرشيف:
Ghardaïa, école des pères blancs 1884-1976
*اللائكية (العلمانية): تعني الفصل القانوني بين المؤسسة الدينية والدولة حسب قانون سنة 1905، ولا يعني إلغاء الدين بل عدم تدخل الدولة في المجال الديني.
[4]Michel Gagnon: op, cit; p21.

وخلاصة القول في الميدان التعليمي أن المراكز التعليمية للآباء البيض تابعت نشاطاتها بعد الاستقلال: إلا أن الجزائر قامت بإصلاح التعليم بداية بالتعريب، ثم بتأميم المراكز التربوية الخاصة، وإلحاقها بالمؤسسات الرسمية، وتبعت هذه الإصلاحات إنشاء اللجنة الوطنية لإصلاح التعليم سنة 1969م .[1]

والتي قامت بتأميم المراكز التعليمية للآباء البيض بالجزائر، فقد تم تأميم مدرسة الآباء البيض والورشات، والمستشفى، ومركز ما قبل التمهين بغرداية سنة 1976م، تم إلحاقها بالمؤسسات الرسمية، إلا أن الآباء البيض احتفظوا بالمناصب الإدارية لهذه المراكز التربوية، وقاموا بتكوين إطارات جزائريين.[2]

ولم يمنع هذا التأميم الآباء والأخوات البيض من مواصلة العمل في مجال التعليم بغرداية، واشتغل بعضهم بالتدريس بالمؤسسات الرسمية، واختصوا بتدريس اللغات الأجنبية.[3]

المبحث الرابع: نشاط الأخوات البيض في الجانب المهني في غرداية

يرمي التعليم الحرفي الذي أنشأه الآباء والأخوات البيض في الجزائر إلى إكساب التلاميذ بعض المهن التي كانت سائدة في تلك الفترة الاستعمارية، واهتمامهم بهذا النوع من التعليم يستند إلى كونه لا يحتاج إلى ثقافة عالية في اللغة الفرنسية، ولكي يتمكن الدارسون من تعلم الحرف المختلفة، كما أن اهتمام التلاميذ بالعمل اليدوي من الأمور التي تَغْريهم على المواظبة عليه، والالتحاق بمدارسهم.[4]

استنادا لمزايا التعليم الحرفي أخذ الآباء والأخوات البيض على عاتقهم تعليم الذكور والبنات اليتامى مختلف الحرف التي تبدو في ظاهرها التكفل والعناية بهم، أما حقيقتها فهي عكس ذلك.[5]وبناءً على ما قاله ريكار فإن التعليم المهني كان يتكون من ثلاثة أنواع: أولها دروس موجهة للعمل العادي كصناعة الخشب والحديد ودبغ الجلود، وصناعة الفخار، وأعمال البناء بالحجر، وثانيها دروس موجهة لخدمة وبعث الصناعات الشعبية كالرسم على الخشب والطرز والخزف وألوان النجارة، أما ثالثها فهي عبارة عن دروس موجهة للفنون النسائية مثل التعليم المنزلي، والغسل والكي والزرابي والنسيج تحت إشراف الأخوات البيض. [6]

---

[1] رابح بن تركي: جهود الجزائر في تعريب التعليم العام والتقني الجامعي 1962 – 1984م ن مجلة الثقافة العدد 91، فيفري 1986م، الجزائر، ص 88.

[2] نفسه، ص 88.

[3] رابح بن تركي: المرجع السابق، ص 88.

[4] سعيدي مزيان: المرجع السابق، ص 141.

[5] نفسه، ص 141.

[6] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الثقافي للجزائر (1830م – 1954م)، مج03، ط1، دار الفكر العربي بيروت لبنان، 2011، ص، 438.

لقد أسس الآباء البيض نوعين من مدارس التعليم المهني، منها ما هو موجّه للذكور ومنها وما كان موجه للإناث، لما استقرت الأخوات البيض في أول الأمر بغرداية في بيت صغير في شارع (العفافرة)[1*] بداية جانفي 1893م جمعن بعض بنات الحي لانطلاق معمل الخياطة في مسكن يبعد بأمتار عن إقامتهن، فكان يستقبل هذا الأخير حوالي 40 فتاة أغلبهن" من قبيلة المذابيح[*] يتعلمّن فيه الخياطة، الغزل والنسيج[2*] وأضيفت النجارة سنة 1896م.[3]

وفي 1900م انتقلت الأخوات للسكن في جناح من المستشفى العسكري، وتابعن العمل في المعمل الصغير للخياطة. أما في سنة 1902م تمّ نقله إلى مستشفى الأخت تيوفاني (Théophanie) الذي بدأن فيه الخياطة باحتشام،كما شهدت سنة 1909م إضافة النقش على النحاس، ومربعات الاسمنت و الطرز على الجلد.[4]

وبحلول شهر ديسمبر من سنة 1912م انتقلت الأخوات البيض إلى منزلهنّ الواسع بحي باب الراعي، والمكوّن من طابقين وعشر قاعات متفاوتة المساحة، وأنشأن هناك مركز للتكوين المهني[*] يضم جناحًا به قاعتان كبيرتان لتعلم حرفة صناعة الزرابي وأخرى للخياطة والطرز، وجناح ثالث لتعلم تسريح الصوف[*] وغزله، شهدت سنة 1925م بناء معمل آخر من طرف الأب ماتياس (Mathias) حيث احتوى على قاعة كبيرة للمهن، وقسم صغير جدًا للبنات يسمى "دائرة الحراسة" وغرفة للصوف، وأخرى للنسيج.[5]

ولا يتم استقبال سوى البنات اللواتي لا يدرسن في المدارس،[6] وقد بلغ عددهن بعد سنة من مزاولة النشاط خمسين (50) بنتًا تتراوح أعمارهن ما بين 10 و15 سنة تشرف عليهن الأخت مادلين سنكلوس (Léa Madleine Sanclous).[7]

---

[*] العفافرة: هي إحدى عشائر وعائلات مدينة غرداية وكانت تسمى آت عفافره

[1] Sœur Blanche; op cit, p01.

[*] المذابيح: هي قبائل عربية سكنت غرداية وتتبع المذهب المالكي.

[2] يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 193.

[*] أنظر الملحق رقم (09) ورشة لتسريح الصوف بغرداية

[3] نفسه، ص 258.

[4] يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، 634

[*] أنظر الملحق رقم (10) خريطة الموقع الجغرافي لورقلة والمناطق التابعة لها

[5] من الأرشيف المصنف بمكتبة البحوث بالمركز الثقافي للوثائق الصحراوية، غرداية، وثيقة تحمل عنوان:
Sœur Blanche: quelque souvenir sur poste de Ghardaïa doucument n° 01,230,000: X160 O PL.2.

[6] Ibid, p, 3.

[7] Michel Gagnon étal, Aperçu sur L'histoire de la niassions au Sahara, Fascicule 2, Laghouat Algérie 2000, P.138.

ومما يلاحظ أن بنات هذه الورشة لا يرغبن سوى في تعلم النسيج، لكن الأخوات يزودهن بدروس عن النظافة والتربية التي تولى أكبر اهتمام في البرنامج اليومي والذي يدوم من السابعة صباحًا إلى غاية الخامسة مساءًا،[1] كما كنّ يلزمنهن على الصلاة والدعاء على الطريقة المسيحية مرتين في اليوم؛ عند الوصول صباحًا وعند المغادرة مساءً. بينما كان الأسقف نوبي (Nouet) يعلمهن بعض الأدعية باللغة العربية وسمّاها: "أعمال في التوبة في المحبة" .[2]

ويقول "الأب نوبي" بهذا الصدد: « أن المعامل والورشات هي المكان المناسب، لتعليم وتزويد التلاميذ بالأفكار المسيحية، وتشكيكهم في دينهم الإسلام، ثم تركهم بعد ذلك ليبحثوا عن الحقيقة المسيحية»، كما كانت "الأخت تريز" (Thérèse) تؤلف بعض الأغاني باللغة العربية، وتعلم البنات الغناء، ويتعلمن الرقص بإشراف الأخت ماريات (Mariette)، وتشكل مناسبات أعياد الآباء والأخوات بحضور السلطات فرصة لتقديم مختلف الاستعراضات. وما يجدر الإشارة إليه أن البنات عندما يكملن نسج أي قطعة لا يسلم لهن ثمنها مباشرة، بل يقدم لهن على شكل هدايا عند زواجهن.[3]

وبخصوص معمل النسيج للنساء فيتكون من بعض الفقيرات جدًا اللاتي لا يستطعن امتلاك منسج في منزلهن، وهو تحت إشراف الأخت هكتور فيكتور توريني (Hector Victore Tourigny)، وفي المعمل بعض الخياطات ومسرحات الصوف، وفيه يساعدن الأخت في غسل الصوف وشراء جلد الغنم، وهذا من أجل الصبغة النباتية. وأما المعمل الأخير فهو عبارة عن ملجأ تجتمع فيه حوالي 45 إلى50 بنتًا تتراوح أعمارهن من 03 إلى 11 سنة وهو سن دخولهن إلى المعمل.[4]

أما البنات الفقيرات تتكفل بهن الأختان سِجُولاَنْ (Sigolène) والأخت كونددا (Condida) على أن الأخت الصغرى تنشغل بالكبيرات للتعليم التربوي الابتدائي[5] الذي يدرسن فيه التدابير المنزلية (خياطة، حياكة، نظافة)، أما الأخت الكبرى تتكفل بالانشغال بالصغيرات حيث تأخذهم لغابة الأطفال والأخت دونيس (Denis) تتكفل بالتعليم التحضيري،[6] وقد كانت الأخوات مكلفات أيضا بمعمل الأطفال، وكن يعتنين بهم من حيث النظافة والغذاء، كما كان الأطفال مدعون للصلاة بالعربية عند وصولهم وفي المساء عند ذهابهم.[7]

[1] Michel Gagnon.étal sur l'histoire de lanassions au sahara fascicule 2, loghouat algérie 2000, p.138
[2] IBid, p193
[3] Michel Gagnon: opcit, p139.
[4] Michel Gognon; op cit, fascicule 03 souvenirs de sœur dénis 1980, p139.
[5] Ibid , p139
[6] ibid, P 142.
[7] Gognon, op, cit, fascicule 02 souvenirs de sœur dénis 1980, p139.

جدول رقم (03) إحصاء 1 أكتوبر 1956 في التكوين المهني للبنات[1]

مجال التكوين	عدد الأقسام	عدد التلميذات
تعليم منزلي و نسيج	03	06
تعليم منزلي	03	03

فمن الملاحظ أنه إذا قارن عددهم بسنة 1925 حيث بلغ 50 بنتًا فإنه بحلول سنة 1956م ازداد ب16 تلميذة فقط ولذلك تعتبر زيادة طفيفة.

جدول رقم (04) إحصاء 1959 في التكوين المهني للبنات.

مجال التكوين	عدد التلميذات
التكوين المهني	52
تعليم منزلي	15

أما بنسبة لسنة 1959م فنلاحظ ارتفاع عدد التلميذات في التعليم المنزلي (15) مقارنة بسنة 1956 حيث لم يتعدى ثلاث تلميذات. وتعتبر زيادة معتبرة.

وخلاصة القول في هذا الجانب أن الآباء والأخوات البيض أرادوا من وراء تأسيسهم للتعليم المهني تحقيق جملة من الأغراض رأو أن لا غنى عنها في العمل التبشيري بين صفوف الجزائريين وأبنائهم،ومن هذه الأغراض ما يلي:

- أن التعليم المهني موجه بالدرجة الأولى إلى اليتامى واليتيمات الذين يربيهم الآباء والأخوات في الملاجئ التي يؤسسونها لهم وإكساب هؤلاء مهنة، ما سيجعلهم يعتمدون على أنفسهم في كسب رزقهم، وبالتالي لن يرتبطوا بأحد، مما يمكنهم من المحافظة على نصرانيتهم في المستقبل. وبالتالي عدم العودة إلى دين أجدادهم.
- اهتمامهم بالتعليم المهني (الزراعة خاصةً) يرمي إلى تكوين عمال يخدمون احتياجات ومصالح فرنسا.
- ما تنتجه أيادي هؤلاء الفتية والفتيات من منتوجات لصناعات مختلفة يمكنه أن يصدر يدّر أرباح طائلة.

إضافة إلى ذلك يمكن القول أن نشاط الأخوات البيض في الجانب الحرفي كوّن اللبنة الأولى للصناعة الحرفية في غرداية وأصبحت هذه الحرف رائجة إلى يومنا هذا في المدينة وفي المدن الأخرى الداخلية، كما لقيت رواجًا حتى في الخارج.

[1] أرشيف غير مصنف ملحقة البحث بالمركز الثقافي للوثائق الصحراوية يحتوي مجموعة وثائف مكتوبة على علبة الأرشيف.
Ghardaïa, école des pèreblonce 1884 – 1976.

المبحث الخامس: المنيعة أنموذجا

- **الموقع الجغرافي:**

تعد المنيعة إحدى المناطق التابعة لغرداية جنوب الجزائر، والتي تبعد ب 870 كلم عن العاصمة "الجزائر" يحدها من الشمال مدينة غرداية، ومن الجنوب ولاية تامنغست، ومن الشرق ولاية ورقلة، ومن الغرب ولايتي البيض وأدرار. وتتميز المنيعة بخصائص طبيعية جيدة إضافة إلى مميزات تاريخية وثقافية أشهرها القصر القديم العتيق، والكنيسة الكاثولكية "لشارل دوفوكو"[1].

تم اختيارنا لمنطقة المنيعة باعتبارها قاعدة إستراتيجية في قلب الصحراء الجزائرية، ومنها تنطلق الحملات التبشيرية للصحراء الإفريقية الكبرى، وكونها شهدت تأسيس أول قرية مسيحية على أنقاض إنشاء أول ملجأ للأيتام.[2]

استقر الآباء البيض بمدينة المنيعة سنة 1892 م بمنزل مأجور، بداية بالأسقف تولوت (Touloute) الذي قام بزيارة إلى المنيعة، وأنشأ أول مركز للمنصرين قبل أن يغادر المدينة في ماي 1894 م ، واستغل هذا المركز* من طرف الآباء ماشراك (Macherh)، وباربي (Barbé)، لكن تم غلقه من جديد في سبتمبر 1920[3].

كما قام الآباء بمجهودات لتشييد المدارس، والمصحات للأطفال من خلال تقربهم من القبائل التي كان جلّها من البدو والرحل، كما سعوا إلى تطوير البساتين لمحاولة جلب اليد العاملة، مما أدى إلى تجمع الأطفال والشباب حول الآباء البيض، الذين استغلوا الوضع بتوزيع الأطعمة والثياب لجذب العائلات أكثر، لكن المركز هجر من جديد إلى غاية استعادة العمل به سنة 1920م.[4]

لقد عرفت سنة 1919م مجاعة، مما أدى إلى ظهور العديد من الأطفال اليتامى في منطقة الأغواط، لتقوم الحكومة العامة للجزائر بالتكفل بهؤلاء الأطفال، والطلب من المدير الرسولي للصحراء "نوي" استقبالهم ومساعدتهم من جهة أخرى، ونتيجة لتدهور وضعية الأطفال اليتامى بمركز الأغواط ومناطق أخرى وقع الاختيار على المنيعة لإنشاء دار الأيتام الريفية، و تم دعوة الأخوات البيض لتتكفلن بالبنات اليتيمات وهو ما تم فعلاً[5].

[1] خليدة زغلامي: "المنيعة فضاء سياحي مميز" ، جريدة السياحي تصدر عن شركة الرؤية للإعلام والصحافة بعنوان 03 شارع الإخوة مراكشي بلدية محمد بلوزداد العاصمة، دع، 2024/08/22، دص.

[2] Sœur blanche: op , cit p 08

[3] Ibid, p 08.

[4] Antony philipe : Missions des péres Blans (Tunisie , Algerie , Kbyle ,Sahara) Avril 1931 , Ed, Dillem, ET, ce, paris, p152.

[5] Ibid, p331.

حيث توافدت الأخوات للإقامة بالمنيعة، بعد تأسيس دار الأيتام في 1921م لموقعها الاستراتيجي، كما تعتبر ممرا لقاصدي أعماق الصحراء، للوصول لمختلف الواحات، يضاف لها مباركة الكنيسة لهذا الموقع[1].

وعلى أساس ذلك بدأ الآباء والأخوات البيض مهمتهم التنصيرية، حيث شهدت سنة 1927م إقامة أول حفل زواج يتيمين منصرين من دار الأيتام، وبازدياد عدد الأيتام اختار الآباء البيض قطع أراضي في سهل يسمى (البشير)، لبناء مساكن الأسر المنصرة، ثم عقد قران 20 يتيما، وأسكنهم الآباء المساكن الجديدة حتى تكونت القرية المسيحية حول قبر "دوفكو"*. وقد وصل عدد الأطفال المسيحين (30 طفلا) ثلاثون.[2]

وبتزايد إصرار الآباء البيض لاستكمال مهمتهم التنصيرية نجحوا إلى حد ما في منطقة المنيعة، فتزايد عدد الأفراد والأسر المنصّرة.

والجدول التالي رقم (05) يوضح لنا عدد المتنصرين كعينة في منطقة المنيعة.

المركز	التأسيس	أخوات	الآباء	عدد المنصرين	في طريق التنصير
المنيعة	1892	05	04	31	36

ففي مجال التكوين المهني عند البنات كان الغالب عليه التعليم المنزلي، و النسيج، فكانت ورشة المنيعة تحتوي على 38 منخرطا، و الجدول التالي يوضح ذلك:

جدول رقم (06) إحصاء أول أكتوبر 1928 التكوين المهني المنيعة[3].

المركز	مجال التكوين	عدد الأقسام	عدد التلميذات
المنيعة	تعليم منزلي و نسيج	01	38

كما فتحت بالمنيعة ورشة بها صناعة الزرابي (غسله والصباغة بواسطة الصبغة الموجودة في البلدة) وجاءت إلى هذه الورشة مؤسسة لليتامى خاصة بالفتيات من عدة أعراش. وكانت بها داخلية، حتى أنها كانت تجلب اهتمام متربصات من مناطق أخرى من خارج البلدة خاصة عين صالح، وكانت تشرف على هذه الورشة أخوات من أسقفية فيفي (vivé) و فلوانس (Flouans) من فرنسا[4].

[1] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق ص 123.

[2] Ibid,, p 332

[3] Ghardaia: école de pères blanc , op cit , p04

[4] أبو القاسم سعد الله:المرجع السابق ص130

جدول رقم (07) المدارس التقنية في غرداية و المنيعة في 1961:

المنطقة	عدد المدراس	عدد الأقسام	عدد التلاميذ
غرداية	2	6	114
المنيعة	1	2	32

كان الهدف الأساسي من المدارس التقنية هو إعداد الفتيات في الواحات إعداداً مهنيا أوليا في إحدى الحرف،[1] لقد كانت مهنة صناعة الزرابي مهنة قديمة ومع مجيء الأخوات أصبحت الصناعة أكثر منهجية إلى يومنا هذا، حيث شهدت النساء بالفضل للأخوات في ذلك، وفي مدارس التعليم المهني لايبرز فرق عن المدارس العامة في نوعية الدروس المقدمة التي لم تخلو من الطابع التنصيري وفي الشريحة التي شملتها هذه المدارس وإنما في محاولات التكوين والتأثير الذي ينجر عنها خاصة لدى فئة البنات والنساء[2].

[1] أرشيف غير مصنف مكتبة البحث بالمركز الثقافي للوثائق الصحراوية وثائق مكتوبة على علبة الأرشيف:

Ghardaia, école des pères blanc 1884- 1976. SP.

[2] غبر شرجورح: الصحراء الكبرى الطبعة (1) تعريب خيري حماد، المكتب التجاري للطباعة و النشر، بيروت لبنان 1961 ص 306-307 .

خلاصة الفصل: نشاط الأخوات البيض في مدينة غرداية

- ساهم التكوين الديني الذي تلقاه لافيجري في زيادة تطلّعاته لنشر المسيحية في كل بقاع العالم، خاصة بعد تقلّده عدّة مناصب مهمة. وفي حين تركت إنجازاته أثرا واضحًا في التاريخ الديني المسيحي، أظهرت تجربته الدينية المسيحية في الجزائر طموحه الكبير في استعادة إفريقيا المسيحية، وادعاء نشر أنوار الحضارة، فرأى أن الاستيطان الأوروبي كفيل بذلك.
- إن الظروف العامة المتردية التي كانت تعيشها الجزائر (اجتماعية، اقتصادية، وثقافية) إبان الفترة الاستعمارية، سواء كانت في شمالها أو جنوبها، شرقها أو غربها فتحت المجال لهؤلاء المنصّرين من الآباء والأخوات البيض للتغلغل داخل المجتمع الجزائري.
- تعدد نشاط الأخوات البيض في مدينة غرداية سواء على المستوى الصحي، أو التعليمي أو المهني، حيث كان التطبيب وسيلة للاحتكاك بالنساء والأطفال (لبنة الأسرة)، و هدف إنشاء المدارس إلى القضاء على اللغة العربية والدين، وفرنسة وتنصير الجزائريين، والسعي لتشويه الإسلام. كما أخذت المعامل والورشات نصيبًا معتبرًا من هذا النشاط، و أدى إلى خلق طبقة عمالية موالية لفرنسا ولخدمة اقتصادها وتطويره.

الفصـــل الثـــاني

نشاط الأخوات البيض في مدينة ورقلة

المبحث الأول: نبذة عن مدينة ورقلة

المبحث الثاني: نشاط الأخوات البيض في الجانب الصحي

المبحث الثالث: نشاط الأخوات البيض في الجانب التعليمي.

المبحث الرابع: نشاط الأخوات البيض في الجانب المهني.

المبحث الخامس: نشاط الأخوات البيض في مدينة ورقلة (أنموذجا)

المبحث الأول: نبذة عن مدينة ورقلة.

1- الموقع الجغرافي وأهميته لمدينة ورقلة.

تعد ولاية ورقلة إحدى أهم ولايات الجنوب الشرقي الجزائري إذ تتقاسم حدودها الجغرافية مع الجمهورية التونسية من الجهة الشرقية، وولايتي غرداية والجلفة من الناحية الشمالية الغربية، وبسكرة والوادي من الناحية الشمالية الشرقية، وأخيرًا ولايتي إليزي وتمنراست من الناحية الجنوبية الغربية.وتقدر مساحتها 163.233 كلم^2.[1]*

وتعتبر ورقلة منطقة حيوية لها العديد من الأدوار الهامة على أكثر من صعيد، فقد كانت من أهم الحواضر بالمغرب الأوسط، وخاصة أنها تقع على مسار الطريق الواصل بين بلاد المغرب العربي وبلاد السودان، فقد شكلت همزة وصل بين المنطقتين مدى العصور.[2]

وتكمن أهميتها في كون الطريق المار بها من أقصر الطرق المؤدية إلى السودان الغربي[3] لوقوعها عند مفترق الطرق بين الشرق والغرب والشمال والجنوب فأصبحت مقصد للقوافل القادمة من تلمسان، سجلماسة وبلاد الجريد وتمبكتو وغيرها.[4]

كما كانت تعتبر من أهم محطات قوافل الحجيج القادمة من المغرب، حيث أكد ذلك الرحالة العياشي. إن هذا الموقع الذي حظيت به ورقلة كان عاملا هامًا مساهما في قوتها الاقتصادية، وتطورها، فمرور القوافل التجارية أو قوافل الحجيج بها قد شكّل لها ثروة وازدهار اقتصادي لا مثيل له فسميت بمملكة الصحراء.[5]

2/ النظام الاجتماعي:

إن التركيبة الاجتماعية لسكان ورقلة مرّت بعدّة مراحل، ويعتبر التعمير الحقيقي، والاستقرار بالجهة أثناء الصراع النوميدي الروماني القرطاجي الذي أدى بمجموعة من البربر الأمازيغ بالتوجه إلى الصحراء في الفترة ما بين القرن الثالث (03) والأول (01) قبل الميلاد.[6]

[1] عبد الحميد نجاح: منطقة ورقلة وتقرت من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال، ورقلة، الطبعة 1، الآمال للطباعة، 2003، ص 8-9.

[2] عمار غرايسية: من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية ورجلان أنموذج، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية 2011، عدد 15، ص،ص413-414.

[3] جميلة بن موسى: تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن 9م إلى 11م، منشورات بلوتو، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2011، ص ص230-231.

[4] إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983 ص 159.

[5] Largeau: Le Sahara Algérien, op, cit, p 251.

[6] أحمد دكار: الروابط بين الحواضر الصحراوية الجزائرية في العصر الحديث، وادي منة ورقلة، وادي ميزاب أنموذجا، الماهر للطباعة والنشر والتوزيع، 2023، سطيف الجزائر، ص 84.

وبما أن تاريخ ورقلة ضارب في القدم، ويعود إلى عصور ما قبل التاريخ، فإن التركيبة الاجتماعية عرفت تنوعًا، حيث توافدت عليها عدّة أجناس من الشمال والجنوب، ومن الشرق والغرب[1] وأصبحت تشكل العناصر التالية: البربر (تضم العديد من البطون والفروع كقبيلة زناتة، وسدراتة)، والعرب (بني هلال، بني سليم، قبيلة الشعانبة، قبيلة سعيد عتبة، قبيلة المخادمة...)* بالإضافة إلى العبيد الذين تم جلبهم من بلاد السودان، فضلاً عن اليهود ويمكن القول أن أول من استقر وشيد القصور هم الأمازيغ ثم السلالات الزنجية الصاعدة من إفريقيا.[2] ثم العرب بعد الفتوحات الإسلامية، وأخيرًا بني هلال ابتداءً من القرن 11م، ثم اليهود في فترات مختلفة.[3]

وقد ضم قصر ورقلة 3 أعراش كبرى (بني إبراهيم، بني وقين، بني سسين)، وهي أسماء للأحياء الكبرى للقصر القديم.*عرفت الحياة الاجتماعية صراعات قبلية بيم مختلف التشكيلات الاجتماعية في ورقلة حول مواطن الكلأ والرعي، والزراعة، ومنابيع المياه والتي أدت لنتائج عكسية لصالح السلطة العثمانية، والسلطة الاستعمارية، مما أدى تشكّل أحلاف قبلية برزت في شكل صفين:

- الصف الأول: هو الصف الغربي يضم قبائل الشعانبة والمخادمة وبني ثور، ويساندهم بنو سيسين المستقرين بقصر ورقلة.
- الصف الثاني: يضم سعيد عتبة وأحلافهم من بني وقين، أما بنو إبراهيم فقد التزموا الحياد.[4]

03- الحياة الدينية:

لا يوجد لدينا ما يثبت أو ينفي غزو ورقلة من طرف الفاتحين المسلمين الأوائل، ولكت الراجح أن أهل ورقلة اعتنقوا الإسلام طوعية سلمًا لا استسلامًا، بدليل عدم عثورنا على أي أثر يدّل على توجيه أي حملة عسكرية أو وجود حامية لجيش المسلمين، ومن المحتمل أن يكون الإسلام قد دخل إلى ورقلة عن طريق الدعاة والتجار المسلمين الذين كانوا يعبرون المنطقة في طريقهم إلى بلاد السودان (جنوب الصحراء الكبرى) وهذا ما يفسر سطحية التأثير العربي.[5]

[1] L'gognals:Fetes principales de sédentaires d'Ouargla (Rougha) R,A,VOL 51, 1909, P 86.

[2] عبد الحميد بحاح: المرجع السابق، ص23.

[3] أحمد دكار، المرجع السابق، ص 84.

*انظر الملحق رقم (11) صورة القصر القديم بورقلة.

[4] رضوان شافو: الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة أنموذجا 1844م- 1962م، دار المحابر للنشر والتوزيع، دط، 2015، ص 138- 139.

[5] السايح عبد الله بن الجيلالي: صفحات من تاريخ ورقلة منذ أقدم العصور حتى الاحتلال الفرنسي، الآمال للطباعة الجزائر، ط1، 2010، ص 39.

وقد عرفت ورقلة انتشارًا كبيرًا للمذهبين المالكي* والإباضي* اللذان شهدا اختلافًا استغلته السلطات الاستعمارية في ضرب الصفوف لتطبيق سياسة فرق تسد[1].

وما ميز سلوكيات الفرد الورقلي أنه كان حريصًا على دينه، إلا أنه طغت عدة شوائب على الممارسات الدينية مثل (زيارة الأولياء الصالحين مثل سيدي بلخير الشطي، سيدي عبد القادر، تقديم الذبائح والقرابين...) فضلاً عن الاعتقاد بالغيب.[2]

4- المرأة:

احتلت المرأة في ورقلة مكانة هامة فهي سيدة البيت الكبير، والمعنية لشؤون أسرتها جنبًا إلى جنب مع زوجها، حتى أخذ المنزل الكبير كنيتها أي يسمى المنزل باسمها دلالة عليها مثل (منزل تاتة نهاكة، ومنزل عيشة مريامة) وتلقب المرأة على إسم أمّها، وقد أخذت المرأة عدّة أدوار في مجتمع ورقلة، فمنهن العابدات، والمهتمّات بالعلم، وقد سميت عدّة مساجد بأسمائهن مثل مسجد لالة مالكية، لالة عزة، لالة باهية.[3*]

* أحد المذاهب الإسلامية السنية الأربعة، يتبنى الآراء الفقهية للإمام مالك بن أنس أهم أفكاره هو الاهتمام بعمل أهل المدينة.

* هن أتباع عبد الله بن إباض وهم أكثر الخوارج اعتدالا وأربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيرًا.

[1] رضوان شافو: المرجع السابق، ص 147.

[2] نفسه، ص 148.

[3] مقابلة مع حفيدة المجاهدة تاتة نهاكة المولودة خلال 1913 والمعروفة بكماسي فاطمة، يوم الخميس 2024/07/11 الساعة الثامنة والنصف صباحًا.

المبحث الثاني : نشاط الأخوات البيض في الميدان الصحي

عرفت مدينة ورقلة تدهور في الجانب الصحي وإنتشار عدة أمراض، وأوبئة خطيرة نتيجة الكوارث الطبيعية سواء بسبب تهاطل الأمطار أو بسبب تلوث مياه الأبار، وأهم هذه الأمراض نجد أمراض العيون (التراكوم وإلتهاب الملتحمة الحبيبي) وأمراض الجهاز الهضمي كالإسهال خاصة الذي يحدث بسبب الجفاف، والحمى الغديرية، وأمراض الجهاز التناسلي وحمى المستنقعات[1].

وسجلت خلال سنة 1882 إصابات بوباء الجدري والسنة الموالية إجتاح وباء حمى المستنقعات مدينة ورقلة مما أدى إلى وفاة(400) أربعمائة شخص أغلبهم من النساء والأطفال جلهم من سكان (القصر*) حيث لا يتجاوز عدد سكان القصر 5000 نسمة ، أما البدو فقد غادروا البلدة نتيجة شدة الوباء خلال هذه السنة .

ويصف أحد الأوروبيين الوضع" إن الواحة لم تكن سوى مستنقع كبيرا أدى إلى هلاك السكان إلى درجة أنك لا تجد في البيوت من نساء تستطيع طهي الطعام أن جل الأطفال حاملين للفيروس"[2]

وتمكنت حمى المستنقعات في خريف 1884 من هلاك 253 شخص و جلهم من الأطفال وعاودت نفس الحمى إجتياح المدينة في فصل الربيع سنة 1885 وفتكت ب 192 شخص أغلبهم من الأطفال[3].

ولم يقتصر الأمر على ذلك ففي سنة 1888- 1892و 1896 إجتاح وباء الجذري وفتك ب 200 شخص وسنة 1892 إجتاح الوباء المنيعة وورقلة فهلك عدد كبير من المواطنين ومنهم القساوسة [4] ، حيث تمركز خلال سنة 1899 مئة (100) قس توفي 84 منهم بسبب الحمى الباردة(حمى التيفوملاريا)[5] .

ومنذ سنة 1900 إلى 1954 عرفت المنطقة تنوع وإنتشار الأوبئة (التيفوس أو حمى القمل، ومرض السل) بنسبة 29% إصابات من الأطفال وأيضا وباء البوحمرون و الملاريا والبعوضة الصحراوية فقد أصيب أكثر من 693 أوروبي تكفلت السلطات الفرنسية بهم خاصة[6] .

---

[1] رضوان شافو،المرجع السابق، ص 236.

*القصر: يمثل القصر القصب مدينة ورقلة القديمة وشكل من أشكال العمارة القديمة (القصور) والقصر القديم بورقلة محاط بسوار خارجي وله سبعة أبواب منها باب عزي وهو المكان الأول الذي إستقر فيه الأباء البيض وبدئوا نشاطاتهم ويحوي القصر سوق كما يوجد به المسجد المالكي (لالة مالكية) وهو بالقرب من مركز الأباء البيض أنظروا الملحق (13) (14) (15) .

[2] لخضر عواريب : دكتور قسم العلوم الإنسانية ورقلة مداخلة من أعمال الندوة التاريخية الإفتراضية حول مظاهر التطبيب الإستعماري والشعبي لمواجهة الأمراض والأوبئة في الجنوب الجزائري 1830-1954 م من 26-27 ديسمبر 2020، جامعة واد سوف كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية قسم التاريخ ،ص 3.

[3] دينيس بيلي: معالم تاريخ ورقلة 1872-1992 ترجة علي إيدار بدون طبعة.

[4] نفسه ،ص6.

[5] لخضر عواريب ، المرجع السابق ،ص4.

[6] نفسه،ص4.

وأيضا إنتشار وباء الجذري ووباء السعال الديكي، وكذا لسعات العقارب حيث سجل سنة 1905 م هلاك نحو 10 أفراد في ظرف 24 ساعة. وبلغت نسبة مرض السل 52.6% بين الأطفال ما فوق 15 سنة و وصل عدد المصابين سنة 1915 حوالي 180 حالة مرضية[1] إضافة إلى المجاعات مثل مجاعة 1920م التي خلفت أزمة إقتصادية أثرت على سكان ورقلة من جميع النواحي وعلى الرغم ما وفرته فرنسا في الجانب الصحي إلا أن عدد المرضى،كان في تزايد مستمر، بسبب الظروف القاسية (الأمراض المعدية، المجاعة...)[2]

إن هذه الأوضاع الصحية المتردية في مدينة ورقلة لم تكن لتتفاقم لولا مساهمة الإستعمار الفرنسي في ذلك ، لأن المصادر الفرنسية التي زار مؤلفوها المنطقة خلال القرن التاسع عشر، أكدوا أن الخندق المحيط بالمدينة من أهم العوامل المؤدية إلى إنتشار الأمراض المتنقلة،.. فقام الأوروبيون بردم الخندق مستخدمين التطوع الذي تشتهر به منطقة ورقلة التويزة* ، كما قاموا بردم العيون الجارية المعروفة بعيون "ذي القرنين" كل ذلك بحجة لسعات الناموس التي كانت تؤذي الفرنسيين دون غيرهم من السكان فكان نتيجة ذلك أن تحولات هذه الأماكن إلى مياه راكدة ساهمت في زيادة الوضع سوء ، وهذا ساهم أيضا في إنتشارا كبيرا للأوبئة[3] مما فسح المجال للتطبيب بقوة ، وسمحت للمنصرين من ممارسة العمل الطبي لتحقيق غاياتهم ، والتقرب من المرضى عن طريق مد يد العون لهم وعلاجهم ، ولا أدل على ذلك قول المنصرون " حيث تجد البشر تجد ألآما ، وحيث يكون الألم تكون الحاجة إلى طبيب، وهناك تكون الفرصة للتنصير." [4]

أما عن وصول الأخوات البيض إلى مدينة ورقلة كان سنة 1912 وذلك حسب ما ورد لدى دينيس بيلي Pillet Denys* ولكن لم يمارسن التطبيب في البداية*[5] .

[1] رضوان شافو ،المرجع السابق، ص 236.

[2] مرجاني عبد القادر:السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19،إش:مجاود محمد تح التاريخ الحديث والمعاصر جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس 2019-2020م ،ص304.

* التويزة: وتعرف التويزة على أنها عمل جماعي تضامني تشترك فيه كل أفراد القبيلة أو العرش لتحقيق منفعة عامة أو خاصة.

[3] رضوان شافو، المرجع السابق ، ص 343.

[4] نفسه، ص 344.

* دينيس بيلي: من الآباء البيض وهو صاحب كتاب معالم تاريخ ورقلة. كما شارك في تأليف عدة دفاتر تخص تاريخ ورقلة ،حيث مكث في ورقلة 35 سنة ،وكان قارئ متميز يتردد على مكتبة دار الثقافة مفدي زكرياء ،توفي سنة 2013. وهذه المعلومات صرح بها مدير المكتبة، بتاريخ 11 جويلية 2023 على الساعة 10 صباحا.

* الملحق رقم (12) صورة لإمرأة وفتاة منصرتين في المجتمع الورقلي.

[5] دينيس بيلي ،المرجع السابق،ص13 . وذكر ذلك بشيء من التفصيل صاحب غصن البان ص192 .

إلا أن وصول الأباء البيض إلى مدينة ورقلة كان الأسبق وذلك سنة 1875[*] في شهري جوان جويلية وشرعوا في إسداد العلاج والتعليم وتحرير العبيد، لكن تقلص نشاطهم وغادروا ورقلة سنة1881م وذلك بسبب تأثيرات مقاومة الشيخ بوعمامة[*] لتعود للنشاط سنة 1891 بعد دخول الشيخ بوعمامة في مرحلة التقهقر وتراجع أمام الجيش الفرنسي [1] .

وذكر صاحب كتاب غصن البان : وأول ما ابتدأ أمرهم في هذا الوطن أنه قدم من بسكرة الأب ريتشارد زائرا سنة 1873 م /89-1290هـ وفي نيته التمهيد لمشروعهم التبشيري فمكثوا بورجلان أياما قلائل ،ثم رجع لبسكرة وفي سنة 1875م رجع كذلك ومعه إثنان مثله ،فمكثوا في البلاد ثلاثة أعوام و سكنوا بناحية بني واكين[*] في جهة باب أبي الربيع[*] وبعد مدة ذهبوا إلى غدامس[*2]. وفي سنة 1892م /09-1310هـ قدم الأب كارمبون ومعه رفيقان مثله فمكثوا هنا عاما كاملا ثم سافر المذكور وآخر معه إلى السودان وبقي الثالث هو الأب آقنو فسكن في المحل الذي كانت فيه المدرسة الفرنسية مقابل باب القصبة الآن وفي أثناء مكثه إشترى دارا بناحية بني إبراهيم في سوق القديم ثم شرع يبني في محل الذي هم فيه الآن[3] .

ويعتبر الأب **ريتشارد**[*] أول من أرسله لافيجري إلى مدينة ورقلة وتقرت تحت وصايته [4] ، تم قتله من طرف الشعانبة ورقلة بسبب نشاطه التنصيري وقتل معه إثنين من الأباء البيض "مورات " MORAT و "بوبلار" POUPLARD وذلك سنة 1881 م غرب غدامس[*].

---

[*] 1875: ذكر هذا التاريخ في كتاب دينيس بيلي معالم تاريخ ورقلة 1872-1992 ص 2 ، يحدد تاريخ وصول الأباء البيض إلى ورقلة بينما بعض المراجع تذكر تاريخ تأسيس أول مركزية بالصحراء الجزائرية سنة 1873 ومنها كتاب الدكتور رضوان شافو الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الإستعماري ورقلة نموذج 1844-1962 ص242 وأيضا كتاب محمد الطاهر وعلي التعليم التبشيري في الجزائر 1830-1904 حيث ذكر تاريخ المركزية 1873 وأيضا رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة غرداية 2015-2016 نفيسة بالخضر ذكرت تاريخ تأسيس المركزية سنة 1873 بورقلة إضافة إلى سعيدي مزيان في كتابه النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867-1892 ص 51 أشار إلى نفس التاريخ 1873 بينما وأيضا ذكر الدكتور لخضر عواريب في ندوة تاريخية حول مظاهر التطبيب الإستعماري والشعبي عن مخبر البحث التاريخي والإقتصادي والإجتماعية قسم العلوم الإنسانية جامعة الوادي في مداخلة ص 6 بتاريخ 26-27 /12/ 2020 تاريخ إحتكاك الأباء البيض في المناطق الصحراوية ورقلة 1875 أو 1873 م أما بقية المراجع لم تشر إلى سنة 1875 وهو تاريخ وصول الأباء البيض إلى ورقلة حسب دينيس بيلي وأكد هذا التاريخ الأب إيتيان أثناء مقابلته بمركز الأباء البيض بورقلة يوم الخميس التاسعة صباحا 18 جويلية 2024 وعليه يمكن القول أن الأباء البيض وصلوا قبل سنة 1875 ولكن لم يستقروا بسبب الظروف السياسية والعسكرية وعدم إستقرار الفرنسيين في السنوات الأولى من الإحتلال مما إنعكس سلبا على إستقرار الأباء البيض .

[*] الشيخ بوعمامة محمد بن عربي بن الشيخ بن حرمة بن إبراهيم تاج المعروف بالشيخ بوعمامة (1833-1908) قادة المقاومة الشعبية ضد الإحتلال دامت 20 سنة جنوب غرب البلاد.

[1] رضوان شافو، المرجع السابق، ص 242.

[*] بني واكين وهي أحد أعراش بني ورقلة القاطنة في القصر القديم (القصبة) وتطلق على الحي الذي يقطنون فيه بالقصر وهم (بني واكين أو واقين وبني سيس وبني إبراهيم) وسبق وشرح ذلك في النبذة التاريخية عن المدينة.

[*] باب أبي الربيع هي من ضمن 7 أبواب القصر العتيق بورقلة.

[*] غدامس مدينة ليبية حدودية مع تونس والجزائر.

[2] إبراهيم بن صالح بابا حمو:غصن البان في تاريخ وارجلان ،دراسة وتحقيق إبراهيم بن بكير بحاز،سليمان بن محمد بومعقل ،دار العالمية الطبعة الأولى 2013 م،ص190.

[3] إبراهيم بن صالح بابا حمو، المرجع السابق ،ص190.

[*] ريتشارد (Richard) من الأباء البيض وهو أول من أرسله لافيجري إلى ورقلة وتقرت يتميز بنطقه بالعربية ولبسه الزي العربي وهو مستكشف للصحراء قتل سنة 1881.

[4] سعيدي مزيان، المرجع السابق،ص:338-339.

فكانت هذه الحادثة سبب إعطاء الكاردينال لافيجري تعليماته بإيقاف البعثات المسيحية للأباء البيض إلى أقصى الجنوب بعض الوقت واقتصر نشاطهم على المدن الآمنة كغرداية وورقلة والمنيعة.[1]

وتعكس هذه الحادثة منذ البداية رفض الإحتلال الفرنسي عامة من طرف سكان المناطق الجنوبية ورفض تواجد المنصرين وتوسع نشاطهم وتغلغلهم في الصحراء الجزائرية ، إلا أن ذلك لم ينقص من عزيمة لافيجري رغم سعيه في تحقيق في مقتل الأب ريتشارد ومن معه من الأباء واعتبرهم قتلوا من أجل الله.

وبعد أن هدأت الأوضاع بدأ الأباء البيض في توسيع نشاطهم في مركزهم حيث ضم المركز 4 من الآباء البيض أنشؤا دارا للأيتام ومدرسة يتردد عليها 70 تلميذا وعدد غير مستقر من كبار السن إضافة إلى مصحة واستقبل هذا المركز الأطفال اليتامى والعبيد وحيث عرف تطورا سريعا فأصبحت تقام به ندوات أسبوعيا [2].

تجدر الإشارة إلى أن الأباء البيض الأوائل اللذين إلتحقوا بورقلة أسندت إليهم في بداية مهمة مساعدة الأطباء العسكريين وتقديم الخدمات الطبية للسكان[3].

وعرف المركز توسعا وتطورا في نشاطه ، كما إمتلك القساوسة النخيل والغابات، وحفر وبئر إرتوازيا صالحا للشرب، حصلوا على إمتياز في منطقة بامنديل وكل ذلك تحت حماية الإدارة الفرنسية. وتقديم المساعدة لهم مقابل تقديم معلومات إستخبارتية عن القوافل التجارية والزوار وغير ذلك من تحركات في منطقة ومعرفة أنماط التفكير، والعلاقات الإجتماعية للسكان حتى تتم السيطرة عليهم[4] .

وهنا يتضح لنا الدور و المهمة الخفية للمنصرين الأباء البيض والأخوات البيض، وذلك إعتمادا على الواجب الديني، والإنساني في نظرهم تحت إشراف لافيجري وسياسته التي تعتمد على التنسيق التام بين أعمال الأباء والأخوات البيض، حيث يعتبرن المعاونات في تأدية مهامهن ويقمن بالرعاية الصحية للأطفال وتعليمهم[5] .

ولم تكن لتنطلق هذه النشاطات إلا ببناء الكنيسة والعيادة أولا ، فكان ذلك سنة 1912م فبنيت أول كنيسة داخل القصر بورقلة بالقرب من السوق لتكون قريبة من مواطني القصر،وقد سبق ذلك تأسيس عيادة بالقرب من قلعة علاهم* خارج القصر سنة 1910م.

حيث التحق الأوائل من الأخوات البيض سنة 1912م القادمات من غرداية ومكثن شهرين فقط في ورقلة وقمن بفتح معمل للنسيج فيه 5 ألآت وتوقف عملهن إلى غاية سنة 1919م، وذلك بسبب الحرب

[1] إبراهيم مياسي ،المرجع السابق، ص 426 .

[2] رضوان شافو، المرجع السابق ،ص244.

[3] وثائق مكتبة الكنيسة بورقلة.

[4] رضوان شافو، المرجع السابق ،ص244.

[5] سعيدي مزيان ،المرجع السابق ،ص84.

العالمية الأولى (1914م -1918 م) [1]، وهذا ما أكدته وثائق الكنيسة من خلال مذكرات الأخت[2] Sr.Marieوتكفلت الأخوات البيض بعد عودتهن بممارسة التطبيب بعد تعلمهن التمريض ولغة السكان، حيث تدرس الأخت منهن في معهد ديني فرنسي بمدينة ليون LYON الطرق التبشيرية[3] .

ثم تلتحق بمدرسة المبتدئين بسان شارل بباريس (NOVICIAT DE ST CHARLES A PARIS)، لإكمال تكوينهم الديني لمدة عامين حيث يتعلمن العربية والأمازيغية والإفريقية بعدها يرسلن إلى مكان معين لأداء الواجب البشري ويتم أداء وإتقان هذا الواجب عن طريق التطبيب فيلجأ الأخوات بمعية الأباء البيض إلى حمل صناديق الإسعاف والتجول في القرى والمداشر والدواوير ليعالجوا المرضى ويؤنسونهم فيفهم المسلم في ضميره الباطن وقرار نفسه أن المسيحية دين الرحمة والحب والخير وجبر الخواطر وتطبيب الأبدان والنفوس[4] وكانت الكنيسة تركز عليهن لسهولة إتصالهم بالعنصر النسوي تحت إطار حماية الأمومة والطفولة[5].

وكان التركيز واضح على المرأة لأن المرأة ركيزة المجتمع وبالتالي فإن كسب ودها يساعد على التغلغل المسيحي في المجتمع. وشمل هذا الإهتمام البدو عن طريق حملات تنظمها عيادات متنقلة تضم أطباء عسكريين بمساعدة الممرضات الذين ترسلهم الكنيسة لهذا الغرض[6] .

إن أول خدمة للمساعدة الطبية عرفتها ورقلة للأهالي كانت بتاريخ 1882 م وذلك بإنشاء عيادة إسعاف عسكري متواجدة بالقصر ثم حولت إلى الرويسات وفي سنة 1910 م إفتتاح أول مستوصف لمعالجة السكان بساحة القصبة [7] .

ونظرا لتزايد عدد السكان إذا تجاوز 2800 ساكن من بينهم حوالي 700 أوروبي و600 من سكان القصر[8] ، وحاجتهم لتطبيب في ظل عدم قدرة المستشفى العسكري على إستيعاب العدد الهائل من المرضى ،أسس المستشفى المدني[9] فأسندت مهمة التسيير والتمريض للعنصر النسوي الأخوات البيض أي إدارة المستشفى والإشراف عليه. وأبرز ما ميز عملية التطبيب ،حسن المعاملة ، لضمان الثقة وعدم الخوض في أموال

[1] دينيس بيلي، المرجع السابق، ص13.

[2] وثائق مكتبة الكنيسة ورقلة .

[3] سعيدي مزيان ،المرجع السابق ،ص 88.

[4] سعيدي مزيان: المرجع السابق ،ص 84.

[5] لخضر عواريب، نفسه، ص8.

[6] وثائق مكتبة الكنيسة ورقلة .

[7] كراس الصحة ورقلة(5) المركز الثقافي للوثائق الصحراوية وجمعية القصر للثقافة والإصلاح ديسمبر2012 ص3.

[8] لخضر عواريب، المرجع السابق، ص8.

[9] نفسه، ص8.

الدين في المرحلة الأولى ، ومحاولة إبراز محاسن الحضارة الغربية الفرنسية الإستعمارية ومتابعة حالة المريض وزيارته في منزله على الأقل مرتين في الأسبوع[1] خاصة (المرأة الأم) حديثة الولادة وتزويدها بالغذاء الضروري واللازم مثل الحليب والخبز... والإكثار من الهدايا للأطفال، والتكفل بالأيتام خاصة فترات المجاعة والأوبئة وهذه الخطوات حددتها الكنيسة سابقا. [2]

وعرفت سنة 1932 م زيارة الحاكم العام كاردي إلى ورقلة وإشرافه على تدشين مصحة شعبية بساحة القصبة كان الأباء والأخوات البيض يشرفون بها على علاج المرضى[3].

وعرفت المصحة إقبالا واسعا من طرف المرضى في ظل تفشي الوباء وعجز الطب الشعبي.ورغم توسيع خدمات العيادات و المستوصفات الصحية من أجل الحد من إنتشار الأوبئة والأمراض إلا أنها تناقصت لدى الفرنسيين وزادت لدى الجزائرين عامة[4] ،والجنوب بصفة خاصة ومنهم الورقليين وهذا أذى إلى الإبادة والموت في الشوارع لذلك لجأوا إلى الطب الشعبي التقليدي رافضين الطب الفرنسي إلا إذا إستعصت الحالة عليهم[5].وتبع لمهمة الأباء والأخوات البيض أعطى 27808 علاجا للمرضى سنة 1934م -1935م وعالجن 63947 مريضا في حين يبلغ عدد الوفيات 75% في صفوف الأطفال من عمرة (0) إلى عامين، ومن بين الأمراض التي عولجت 1934 م-1935 م:

- أمراض العيون 16502 علاجا.
- رماد العيون 9102 علاجا.
- حمى المستنقعات 7598 علاجا .
- أمراض الجهاز التناسلي 7336 علاجا .
- أمراض السل 1205 [6].

من بين الأخوات البيض اللواتي نشطن في الجانب الصحي بورقلة الأخت مارغريت لابورت

---

[1] نفسه، ص8.

[2] وثائق مكتبة الكنيسة ورقلة.

[3] عبد القادر موهوبي السائحي:عمالة قسنطينة خلال المقاومة والثورة التحريرية الجنوب الشرقي نموذجا طبعة خاصة من وزارة المجاهدين دار قرطبة للنشر والتوزيع 2018، ص298 .

[4] سيدي محمد رامي:دور الإستعمار الفرنسي في تفشي الأمراض والأوبئة بالجزائر خلال ق 19 مجلة العصور الجديدة .مج10 ، ع4 ،2020 ص ،ص، 363-369.

[5] كوكب عبد الحق:مشكلة إنخفاض المستوى الصحي بالجنوب الجزائري أثناء الفترة الإستعمارية مداخلة في الندوة التاريخية حول مظاهر التطبيب الإستعماري والشعبي لمواجهة الأمراض والأوبئة في الجنوب من تنظيم مخبر البحث التاريخي والإقتصادي والإجتماعي في الجزائر قسم العلوم الإنسانية جامعة الوادي، الجزائر، يوم 27/26 ديسمبر 2020 ص15.

[6] دينيس بيلي، المرجع السابق ،ص23.

* ولدت مارغريت لابورت في 9 ديسمبر 1900 لعائلة مسيحية في جنوب شرق فرنسا وأصبحت راهبة 1925 بعد أن زودت بشهادة في التمريض.

*حيث احترفت مهنة التمريض ، وأرسلت من الجزائر العاصمة إلىLaporte Marguerite ورقلة وبقيت مدة 14 سنة وعرفت بالتواضع وحسن المعاملة .[1]

وعملت الأخوات البيض فيما كان يطلق عليه الصحاري الداخلية والمستشفيات الصغيرة ، مع جولات مع البدو الرحل وقدمنا مساعدات في مجال التمريض ، كما اتصلنا بالسكان وقمنا نصائح للأمهات في النظافة والوقاية ، وأقمنا علاقات ودية وأخوية معهن. وذلك سعيا لتشجيع الأباء لإرسال بناتهم إلى المدارس[2].

كما تذكر الأخت ماري هامون الأخت بلانش قائلتا أن عملنا في المستشفى كان صعبا للغاية لكنه كان محبوبا وأنهم تجاوزوا منطقة ورقلة في أداء مهمة التمريض إلى مناطق أخرى مجاورة[3].

وأستقبل مستوصف الأخوات البيض 235 مريض بالسل كل صباح مما أدى إلى تحويل الكنيسة إلى المستشفى 1939 ، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية 1949 إستقرت الأخوات البيض بالقرب من مستوصف ساحة القصبة (فلاتيرس*) وأعقب ذلك بداية استئصال حمى المستنقعات التي تعتبر أول سبب للمرض بورقلة وثم إجراء 50000 فحصا ل 236 إصابة في سنة 1961.

لم يتوقف نشاط الأخوات البيض في الجانب الصحي فقط بل في بناء علاقة قوية مع المريض وكسب ثقة كما ذكرنا سابقا خاصة المرأة حيث لم يكتفين فقط بعملية التوليد والإهتمام بالمولد(الرضيع) بل تعد الأمر إلى المتابعة الصحية والنفسية وتعليم الأمهات كيفية الإهتمام بالرضيع (نظافته وإرضاعه) وأيضا إشتغلن بالتنظيف (غرف المرضى وقاعات التوليد)[4]

ويعتبر التطبيب في العمل التبشيري أكثر شمولا من الوسائل الأخرى، وأبلغ أثر لأنه موجه للصغار والكبار على حد سواء[5] من جهة، ومن جهة أخرى قد يكون وقعه على نفوس الأفراد أكثر تأثير، لأن الأمر يتعلق بمعالجة أمراضهم والتخفيف من ألآمهم . وما يمكن قوله أن سوء الأوضاع الصحية في الجزائر عامة، والصحراء خاصة، هي ظاهرة صاحبت الإستعمار كما يمكن القول أن الأهداف التي سطرتها الكنيسة لم تحقق مقارنة بالمجهودات والتضحيات المبدولة في ذلك[6].

---

[1] وثائق مكتبة الكنيسة ورقلة.

[2] نفسه.

[3] APERCU SUR L' HISTOIRE DE LA MISSION DU SAHARA , Fascicule 2 , Ghardaia P 54.

[4] ملخص اللقاء مع مليكة دادي أنظر الملحق (20-21)

*فلاتيرس Flatters : نسبة إلى فيلاتس مستكشف لصحراء قتل سنة 1881 وأقيم له نصب تذكاري سنة 1914 وتسمى اليوم ساحة الشهداء بورقلة .

[5] محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص88.

[6] لخضر عواريب ، المرجع السابق ،ص 10.

لذلك إشتغل المنصرون الأخوات البيض في العمل الطبي لتحقيق غايتهم والتقرب من المرضى، وخاصة أنهم في حالة ضعف لا يقدرون على تفطن لهذه السياسة.و رغم ما يلاحظ من تحسن المستوى الصحي وترقية الحياة الإجتماعية في ورقلة خاصة أواخر الستينات من إفتتاح للمستشفيات وتعميم الفحوصات،و العمليات الجراحية، مقارنة ببداية الخمسينات فإن ذلك يدل على ضرب مصالح ثورة تحريرية وتركيز الإهتمام بالجنوب والمناطق الصحراوية الجزائرية إمتداد لمشاريع إقتصادية وإجتماعية تخدم المصالح الفرنسية.

المبحث الثالث: نشاط الأخوات البيض في المجال التعليمي:

تعتبر مدينة ورقلة من المناطق الجنوبية التي شهدت نشاط الزوايا التعليمية ، وفي مقدمتها فرع الزاوية التجانية بتماسين* وفرع الزاوية القادرية الرويسات*، زاوية سيدي خويلد وزاوية سيدي بلخير بالشط[1].

وتميز التعليم بالإزدهار قبل الإحتلال الفرنسي ، ولغة التعليم في جميع المستويات هي اللغة العربية ، التي أزيحت تدريجيا بطريقة مضبوطة في ميدان التعليم عندما قامت مدرسة فرنسية فأصبحت اللغة الفرنسية وحدها هي موضوع الدرس و الدرس[2].

والتركيز على محواللغة العربية ،يعكس السعي للقضاء على الدين ، وهذا ما صرح به الكاردينال لافجيري (1828-1892) وهو يقول سنة 1869 " علينا أن نخلص هذا الشعب من قرآنه وعلينا أن نعتني على الأقل بالأطفال لتنشئتهم على مبادئ غير التي شب عليها أجدادهم ، فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل أو طردهم إلى الصحراء بعيد عن العالم المتحضر"[3].

لذلك كان التعليم من أول وأهم وسائل الأخوات البيض ، إضافة إلى التطبيب ، والأعمال الخيرية ، والمساعدات المالية ، والوسائل الأخرى [4] ، لتسهيل مرور رسالة المسيح ، وبالتالي غرس الفكر النصراني في الأطفال الصغار قبل بلوغهم ، حتى يسهل التحكم فيهم فضلا عن تأليف الكتب والمجلات و النوادي الثقافية والترفيهية.

لقد كان التعليم التنصيري سابقا عن التعليم العمومي المدني الفرنسي ، مما جعل بعض الشخصيات الفرنسية توصي بضرورة الإعتماد على تجارب المنصرين عندما تقرر سلطات الإحتلال فتح مدارس التعليم العمومي ،

---

[1] رضوان شافو، المرجع السابق، ص249.

[2] الطاهر زرهوني، المرجع السابق ،ص13-14.

[3] نفسه،ص33.

*الزاوية التجانية:تأسست على يد الشيخ أحمد التجاني ظهرت بالجزائر سنة 1196-1780م له مقر بتماسين مؤسسها الحاج علي التماسيني بأمر من الشيخ احمد التجاني سنة 1220-1805م.رضوان شافو، المرجع السابق، ص،183.

**الزاوية القادرية: تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلالي المتوفي في بغداد سنة561-1166م ونشرها أبو مدين شعيب المتوفي سنة 594-1197م. رضوان شافو ،نفسه ،ص، 179.

[4] محمد الطاهر وعلي: التعليم التبشيري في الجزائر،من 1830 إلى 1904، منشورات دحلب،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية الجزائر 13 ،ص80.

التعليم التنصيري كان تعليما خاصا تموله الجمعيات التنصيرية لذلك أعفى سلطات الإحتلال من التكاليف في فتح المدارس كما تابعته في تحقيق أهداف التعليم العمومي الفرنسي إلى جانب تحقيق أهدافه الخاصة، وانقسمت المدارس التنصيرية إلى:

1-التعليم التنصيري العمومي .

2-التعليم التنصيري الخاص[1].

ويتميز التعليم التنصيري العمومي أنه تحت إشراف وزارة التعليم العمومي الفرنسي إلا أن الإدارة وهيئة التدريس كلهم من رجال الدين المس2يحيين،غطى هذا التعليم كل المناطق التي يسكنها الأوروبيين وخدماته موجهة إلى أبناء الفرنسيين الوافدين إلى الجزائر عسكريين أو مدنيين[2].

أما بالنسبة إلى التعليم التنصيري الخاص يقع على عاتق الجمعيات التنصيرية التي تقوم بتأسيسه من حيث الإشراف والتموين وينقسم بدوره إلى قسمين قسم موجه للأوروبيين في الجزائر والثاني خاص بالسكان الجزائريين وخدماته مجانية لأنها تهدف إلى هدف خاص وقد تبنته جمعية الأباء اليسوعيين وجمعية مبشرين السيدة الإفريقية الأباء والأخوات البيض وجمعية ميلد ماي[3].

حينما حل الأباء البيض بورقلة بلغ عدد الأيتام في البداية (12) إثنا عشرة يتيما حيث كرسوا أنفسهم لتعليمهم وبدأ العدد في تزايد حتى وصل إلى (500) خمسمائة منخرط بين ذكور وإناث وذلك بمرور السنوات بدءا من سنة 1873م ويدخل ذلك في إطار التعليم الخاص التنصيري[4] .

إنطلقت أول بوادر التعليم العام في مدينة ورقلة ، على يد عسكري فرنسي بتاريخ مارس 1891 م ، وذلك بتأسيس المدرسة العمومية ، ومسكن للمعلم مقابل القصبة من جهة الجنوب ، وفي 23 نوفمبر من نفس السنة أعيد فتح المدرسة ، ليطلب من الأباء البيض في أكتوبر من عام 1897 م أن يعطوا دروس لأطفال الرويسات الذين بلغ عددهم 25 تلميذا[5].

[1] محمد الطاهر وعلي ،المرجع السابق، ص76.

[2] محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص101.

[3] نفسه، ص103.

[4] Antony Plilipe,Missions Des Peres Blans(Tunisie, Algerie, Sahara) , Avril 1931,Ed.Dillem, Et ce. Paris,P 152.

[5] دينيس بيلي، المرجع السابق، ص8.

ويعتبر تاريخ تأسيس أول مدرسة باللغة الفرنسية سنة 1898 م ومدرسة واحدة بتقرت وذلك تحت السلطات الفرنسية ثم شرع في فتح المدارس الخاصة باللغة الفرنسية بدءا من 1900 ووضعت تحت إشراف الأخوات البيض لاستغلالها في تمرير مشاريعهم التنصيرية[1]

جدول رقم(08):أهم معطيات مراكز الأباء البيض ورقلة.

المنطقة	التأسيس	عدد الأباء	عدد الأيتام	عدد المدارس	المنخرطين	المعلمين
ورقلة	1873	04	12	90	362	11

وقد إستقبلت المدرسة الخاصة للأباء البيض في نفس السنة نحو 30 تلميذا ، وفي عام 1903 م أعطت المدرسة الخاصة دروسا لعدد من الكهول ل 5 مرات في الأسبوع ، دروسا تطبيقية في علم النخيل والفلاحة ، في عام 1906 م ، وهذا بعد شراء ثلاثة أجنحة صغيرة من أجل تدريب التلاميذ.وفي عام 1933 م حصل طلاب من المدرسة الخاصة للأباء البيض على أول شهادات إبتدائية تعطيها تلك المدرسة في تاريخها[2].

جدول رقم 09 مدارس التعليم العام .

السنوات	الذكور	الأقسام	البنات	الأقسام	الكهول
1897	25				
1900	30				
1903					40 إلى 50
1930	90				
1950		القسم الصبياني 29 القسم الإعدادي 34 قسمان في كل واحد 37 طفلا		2	
1960	480	13 قسما للتعليم المنزلي – قسم للنسيج			
1965			60	قسم للتعليم المنزلي	

[1] عبد القادر موهوبي، المرجع السابق، ص164.

[2] دينيس بيلي، المرجع السابق، ص8.

ففي مدينة ورقلة وضع الأخوات البيض برنامجا أحدهما يتعلق بالتعليم النظري والثاني يتعلق بتقديم معارف علمية (تطبيقية) وكان عدد الأطفال في بداية 26 طفلا [1] حيث يتضمن النظري القراءة والخط ومبادئ الحساب والتاريخ والجغرافيا والغناء والموسيقى واللغة العربية بدرجة أقل. أما التعليم التطبيقي فيشمل معارف في الصناعة والتجارة والبستنة[2].

أما الحجم الساعي في مدارس المنصرين فقد كان في حدود ثمانية ساعات في اليوم أربع منها تخصص لتلقي الدروس وأربع الأخرى للمطالعة ونشاطات أخرى. والملاحظة أن المنصرين من الأخوات البيض أو الأباء يحبدون مكثوث الأطفال عندهم مدة طويلة هذا ما أدى إلى إنشاء داخليات ملحقة بمدارسهم وذلك من أجل سهولة تحقيق غايتهم ، يظهر ذلك للأساليب المتبعة لتحقيق هذا المسعى وهي أساليب غير مباشرة لتعليم برامج التعليم المسيحي وإستخدام نصوص مستخرجة من الإنجيل دروس تقدم للأطفال.[3]

توافد الأطفال على هذا النوع من المدارس الجديدة ، فقد كانت مرحلة التعليم الإبتدائي محور التعليم العام في المدارس التنصيرية، ولم يكن يشترط سن للطفل المتمدرس مع ضرورة إستقطاب الأطفال، ويوزع الأطفال حسب أعمارهم إلى ثلاثة، فئات كبار السن وفئة المتوسطين في السن وفئة صغار السن وبذلك تتشكل ثلاثة فصول للتعليم[4] .

لذلك وضع برنامج خاص لكل فئة ، حيث يتلقون تعليم مبادئ اللغة الفرنسية والصغار يتلقون الحروف الأبجدية الفرنسية والمتوسطون يتلقون النحو والحساب والكبار يتلقون برنامج شبيه لبرنامج المدارس الفرنسية الحكومية، أما عن المواد التعلمية التي تلقاها التلاميذ تمثلت في :

1-اللغة الفرنسية التي تحتل المرتبة الأولى من حيث عدد ساعات التدريس شملت القراءة والكتابة والإملاء والتخاطب.

2-التربية الخلقية يتعلم فيها التلاميذ الخلق والمعاملة الحسنة.

3-التاريخ يدرس فيها الشخصيات التي يمجدها الفرنسيون مثل نابليون.

4-والجغرافيا يدرس فيها جغرافيا الجزائر الفرنسية التابعة لجغرافيا فرنسا الأم.

5-الحساب والضرب والطرح.

6-والأناشيد والرسم والأشغال اليدوية.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ص123.

[2] نفسه، ص 123.

[3] محمد الطاهر و علي، المرجع السابق، ص137.

[4] نفسه، ص136.

7- واللغة العربية والإنجليزية وتكون اللغة في الكتاب العربي بالدارجة ومما يلاحظ زيادة عدد المدارس وعدد التلاميذ في جنوب بصفة عامة إلى 29 مدرسة إبتدائية وعرفت مدينة ورقلة هذا التطور منذ سنة 1908 إلى 1909 وفي عام 1910 تحصل الطالب صالح بوبكر على أول شهادة إبتدائية[1].

واهتمت الأخوات البيض بتعليم البنات* وتركز ذلك على مبادئ الحساب والقراءة والخط وذلك على نطاق ضيق وحسب ما يسمح به الوقت المتوفر على أن التركيز كان على تعليمهن فنون التدابير المنزلية مثل: تحضير الأطباق الفرنسية وغسيل وخياطة والترقيع ونلاحظ هنا تركيز الأخوات البيض على فنون التدبير المنزلي أكثر من التدريس لأن التعليم بالنسبة للمنصرات ليس هدفا في حد ذاته[2].

إن هذه المدارس المسيحية التي تأسست إبتداءا من سنة 1878 سيرها مسيحيون ولم يعرقل أحدا سيرها لتقوم مقام المدارس الرسمية وضمت أبناء المسلمين في بلاد القبائل والصحراء (ورقلة –البيض...إلخ) قصد نشر التعاليم المسيحية وتجريد بعض النواحي من ثوب العربية والدين وإبعادهم عن تعليم القرآن وتحفيظهم في الزوايا[3].

وزيادة على ذلك إن الهدف من إنشاء هذه المدارس وهو فرنسة الجزائريين وإبقائهم على جهلهم وهذا ما صرح به الفرنسيون "إن الهدف كان محو التعصب الديني والكراهية عن طريق التعليم بالفرنسية والحضارة والتقدم ذلك لا يكون إلا بإحداث لغة مشتركة في الجيل الصاعد وتقريبهم من فرنسيين بتبنيهم نفس الأفكار والمصالح"[4].

واستمر نشاط المدارس التنصيرية إلى ما بعد الإستقلال بورقلة إلى سنة أكتوبر 1974 سلمت مدارس الأخوات البيض إلى مصالح التربية الوطنية والمدارس الحرة للبلدية ومصالح التربية الوطنية.

المبحث الرابع: نشاط الأخوات البيض في الجانب المهني:

أما عن التعليم المهني في مدينة ورقلة فقد فتح بها الآباء البيض عدة ورشات وهم الأوائل في هذا المجال قبل الأخوات البيض. وقد إنقسم التعليم المهني إلى قسمين:

قسم خاص بالذكور (التعليم المهني الذكوري) وقسم خاص بالإناث تحت إشراف الأخوات البيض وكما ذكرنا سابقا في الجانب الصحي أن وصول الأخوات البيض إلى ورقلة البداية لم يمارسن العمل الطبي بل ركزنا على الجانب المهني[5].

---

[1] دينيس بيلي، المرجع السابق ،ص13.

* أنظر الملحق رقم (15) صورة للأخوات البيض يدرسن الفتيات في ورقلة.

[2] محمد الطاهر وعلي، نفسه، ص139.

[3] طاهر زرهوني، المرجع السابق، ص14-15.

[4] مصطفى بن حدة: السياسة التعلمية الفرنسية في الجنوب الشرقي الجزائري 1882-1914 ،مجلة العبر للدراسات التاريخية الأثرية في شمال إفريقية المجلد السادس العدد (2) بتاريخ 30 جوان 2023 ص401.

[5] Ghadaia, école des péres Blances 1884-1976,OP cit, p4.

ويهتم التعليم المهني الذي أسسه المنصرون بالمناطق الصحراوية إلى إكتساب الأطفال والشباب بعض المهن التي كانت شائعة في ذلك الوقت وكثيرا ما يستجيب لخصوصيات كل منطقة[1] .

إعتمد التكوين المهني الموجه للإناث في بدايته تحت إشراف الآباء البيض سنة 1905م حيث إقتنو آلتين للخياطة ، وكذلك آلة ميكانيكية للنسيج تعتبر الأولى. وفي عامين 1908-1909م تم فتح أول قسم حرفي للبنات في المدرسة العمومية[2].

ونظرا لظروف منطقة ورقلة التي تميزت بالصعوبة بسبب الفقر وبطالة وطبيعة المناخ الحار، مما دفع الأخوات إلى إنشاء معمل للنساء حتى تتمكن النسوة بمجانية العلاج والدواء وتحسين ظروف المعيشة المادية كما تقوم الجمعية الفرنكو الجزائرية بتقديم الدعم إلى هذا المعمل[3].

ويضم هذا المعمل الذي إفتتح بجانفي 1912 خمس ألآت للنسيج وبدأ العمل من 16 نوفمبر إلى غاية 11 ماي 1914 وتوقف بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى كما أشرنا إلى ذلك سابقا[4].

ثم إفتتح المعمل من جديد بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى . وصل عدد النساء والبنات العاملات به إلى 150 حيث يتلقن دروس تطبيقية في خياطة والنسيج وصناعة الزرابي في سنة 1912 إشترى هذا المعمل 4000 ألف فرانك من صوف ودفع 350 فرنك كأجر للعاملات به مما أدى إلى إستقطاب الكثير من نساء فتم توسيعه وقد دعم المصنع مبلغ 2000 فرانك سنويا لتحسين ألآت الخياطة والحياكة ، ومن جهة أخرى قامت بلدية ورقلة بتقديم مساعدات طبية للأخوات البيض قصد السماح لهن بعلاج النساء من سكان[5]، ويتضح أن التعليم المهني في ورقلة أخذ حظا وافرا من الإهتمام من طرف الآباء والأخوات البيض وأيضا من السلطات الإستعمارية[6].

حيث ذكر صاحب غصن البان أن صناعة الأنسجة توسعت واختلفت أنواعها ،من الفرش والزرابي السودانية والتركية والاعمورية والقفصية والأغواطية والنايلية والوادية والميزابية والبرانس المطروزة والوسائد المختلفة والمقاعد وغير ذلك مما يتعلق بالنسج والطرز وجلبنا ألآت كثيرة لهذه الصناعة وأحدثن عدة أماكن في غاية الإتساع[7] .

---

[1] محمد الطاهر وعلى، المرجع السابق ،ص140.

[2] دينيس بيلي ،المرجع السابق، ص11.

[3] Gouvernement Generale de Algere Guatre Annees de luHe paludique à Ouargla doucuenents algerienes , ne 4° 25/01/1953.p p.174,176.

[4] دينيس بيلي ، نفسه، ص13.

[5] Gouvernement Generale de Algérie,Op Cit it p p,174,176.

[6] أبو القاسم سعد الله ،المرجع السابق ،ص438

[7] إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام، المرجع السابق ،ص ص 192-193.

وتم فتح عدة ورشات (التعليم المنزلي والنسيج والخياطة والجلود) ، وصناعات حرفية أخرى مثل : القفف ،وقد كان الغالب في التكوين المهني المنزلي والنسيج حيث بلغ ثلاث مراكز بين ورقلة وغرداية تضم قرابة 60 تلميذا[1] ومعمل النسيج بورقلة يتكون من بعض التلميذات الفقيرات جدا ممن لا يستطعن إمتلاك منسج في بيوتهن ، وهو تحت إشراف الأخت " هكتور فيكتوارتوريني" فكان بهذا المعمل الخياطات ومسرحات الصوف، يقمن بغسل الصوف والجلود ضم في سنة 1908 قرابة 23 فتاتا[2].

وعرف التعليم المهني بورقلة إستقطابا كبيرا لأنه يمنح إهتماما وتركيزا على المرأة، فقد تم إنجاز وتدشين سنة 1923 مشغل كبير للأخوات البيض تنشط فيه 213 بنتا وإمرأة[3].

حيث يوضح لنا الجدول التالي رقم (10) مدارس التكوين المهني:

السنوات	مشغل النسيج
ديسمبر 1923	213 بنتا وإمرأة
1925-1924	250 بنت
1930-1929	200 بنتا 200 إمرأة
1967	22 شغالة 68 عاملة في المنزل.

ويتضح من خلال الجدول أن عدد النساء المنخرطات في تزايد مستمر إلى غاية مابعد الإستقلال وهذا يعود لظروف الإستقرار السياسي وإسترجاع السيادة الوطنية وعملية التأميم، كما أنشئت من طرف الأخوات البيض ورشة تأوي 200 تلميذة و50 إمرأة في نسيج الزرابي ومدرسة وفتحت ورشة ومصحة للنساء المتزوجات سنة 1931 م وتم إنجاز بئر2 م[4] ، لماء الشرب وخزان طاقته(عشرين متر مربع) 20 وذكر ذلك صاحب غصن البان أن الأخوات البيض أحدثن محلا للنساء المتزوجات والعازبات ومحلا للبنات البالغات ومحلا للبنات ذات ستة أعوام ومحلا به أسرة مفروشة للأولاد الرضع التابعين لأمهاتهم وعدة من يزاول النسيج من البنات 180 واللواتي سنهن ستة أعوام ... والصغار الرضع ثلاثون والنساء الكبار أربعون واللواتي يتعاطين الصناعة في ديارهن هذا العدد في سنة 1931م /1350هـ[5] .

[1] أبو القاسم سعد الله ،المرجع لسابق ،ص438

[2] نفسه ، ص130

[3] دينيس بيلي ،المرجع السابق، ص 19.

[4] نفسه ،ص22 -21.

[5] إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام، المرجع السابق ،ص 193.

جدول رقم (11) جدول يبين عدد التلميذات والأقسام بورقلة.

المركز	مجال التكوين	عدد الأقسام	عدد التلميذات
ورقلة	تعليم منزلي	3	57

كما تم أيضا إنشاء مدرسة للبنات في ورقلة وأخرى في عين ماضي في مجال الصناعة التحويلية لمادة الصوف، فتقوم الفتيات بنسج البرنوس المطلوب في البلاد والحايك الذي يعتبر رمز المرأة في أقاليم الجنوب، وهو ذو أهمية بالغة نظرا لسعره المرتفع ورواج استعماله، لذلك قامت الإدارة الفرنسية بإدراجه في تكوين المهني ولم يستثنى الجانب الزراعي من حيث تقديم دروس تطبيقية شملت عدة مدارس في جنوب الشرقي، حيث يتلقى المتعلمون المبادئ الأساسية للزراعة من غرس الأشجار والعناية بها كما قام المتعلمون رفقة المعلمون إلى إنشاء مشتلة للأشجار المثمرة الغابية وإدخال مزرعات جديدة على الأقاليم الصحراوية[1]. زراعة القطن ببامنديل الذي يستعمل في نسيج الحائك لنساء البلاد[2].

عرفت سنة 1927 إدخال الصناعة الطرز ليوم واحد في أسبوع بالنسبة لمشغل الأخوات البيض واستمر ذلك إلى غاية سنة 1935، كما استفاد الذكور من تجربة متواضعة في صناعة السلال وصناعة سعف النخيل وفي تريكو الميكانيكي ودباغة الجلود والطرز على الجلود كما فتح الأباء البيض (1927-1928) مركز لتكوين الفلاحي والصناعة التقليدية حيث كانت تعطي دروس تطبيقية في الأجنحة المدرسية عين حبيبة وعين بايوب.

أما النسيج في مشغل الأخوات البيض تشتغل حوالي 200 بنت و50 إمرأة في النسيج وزود مشغل الأخوات البيض ببئر لماء الشرب وخزان طاقته 20 م مربع[3].

وخلال سنة (1935-1936) تم تنصيب أول محرك مولد كهربائي في مشغل الأخوات البيض يمول ورشة النسيج والتريكو الميكانيكي والمنازل المجاورة وقد شهدت سنتي 1938-1939 إنتقال المدرسة الحرة إلى جناح ورشة النسيج الميكانيكية والحياكة الميكانيكية وتوقف النسيج الميكانيكي سنة 1947 وبقي نشاط الحياكة إلى سنة 1949 وذلك حسب عملية التسويق وهذا يدل على أن هذه المنتوجات كانت تلقى رواجا كبيرا.

وما يميز سنة 1947 وهو اعتناء بتعليم البنات وأيضا نوع من تطور في العنصر النسوي وهذا ما يدل على النشاط في تدبير المنزلي في مدارس الخاصة وأيضا التوافد على المدارس العمومية[4].

[1] Gouvernement Generale de Algérie, OP cit it p, 128.

[2] دينيس بيلي، المرجع السابق ،ص 18.

[3] نفسه، ص 19-29.

[4] نفسه، نفسه ،ص 21-27.

حيث سجلت سنة 1948 حصول عاملتان في صناعة النسيج بورقلة على جائزة أحسن حرفي جزائري في مسابقة، وفي سنة 1950 م تسع عمال من مشغل وعاملتان من مشغل الأخوات البيض يتوجون في مسابقة أحسن حرفي في الجزائر (وذلك تبعا لعدة جوائز سابقا سنة 1936 عاملتان ورقليتان تشتغلن في صناعة النسيج عرضتا أشغالهن في باريس العاصمة الفرنسية كما شهدت سنتي 1947-1948 حصول عاملتان على جوائز في مسابقة أحسن حرفي).

وإلى غاية 1955- 1956 بدأت عملية تكوين المنزلي ومدة التكوين ثلاث سنوات حيث للفتيات المستوى المتوسط [1].

وما ميز التعليم المهني لدى البنات خاصة النسيج والطرز والخياطة هو الإتقان الشديد ، حيث تذكر السيدة "مليكة دادي " أن الأخوات البيض القائمات على النسيج والطرز والخياطة يرفضن أي قطعة بها خطأ أولا تناسب المقاييس المحددة حيث يقمن بتمزيقها ويطلبن من المتعلمة إعادة حياكتها من جديد وتقول مليكة دادي شمل ذلك كل أعمال ، ولم يخلو الأمر من بعض التدابير المنزلية مثل تعليم الحلوى العادية بحيث تكون المواد الأولية من إمكانيات المنطقة البسيطة (المقروط- الكروكي) إضافة إلى الزيارات المتنوعة التي يقمن بها الأخوات البيض مع الورقليات حيث يقمن بزيارة المعوزين والأيتام والمرضى لمواساتهم ، أو توزيع العمل عليهن في المنازل أو تقديم يد العون إليهن ومن بين ما يقمن به الورقليات النسيج. المسمى بالأمازيغية أمشجان الذي يعني الزنوج وأيضا الحصيرة التي تصنع من باقي النخيل وأيضا الكرناف تباع بعض المنتوجات إلى محلات اليهود بالقرب من جامع لالة مالكية بالقصر. "ولا يمكن للمنخرطات أن يلمس Singer أما بالنسبة للخياطة فكانت يدوية بمكينة الخياطة من نوع " آلة الخياطة إلا بعد أن يتقن قطع الخياطة باليد لمدة ثلاثة أشهر ثم ينتقلن إلى العمل بالماكينة[2].

كما تذكر السيدة مليكة دادي أن أمها عاشرت الأخوات البيض وتعاملت معهن وهن من علمها التوليد فكانت تقويم بذلك بالقصر وأحيانا خارج القصر.كما أن الأخوات البيض كن يقمن بتعليمهن التدابير المنزلية ويسمى ذلك بيت الخدمة مثل:الصابون والتنظيف وما شابه ذلك[3].

ولم يستثنى الإحتفال بالعام الجديد من طرف الأخوات البيض من الورقليات بتوزيع الهدايا والحلوى والملابس وهذا يدل كما قالت على حسن المعاملة وطيب المعاشرة وحب العمل وإتقانه فلم يخلو بيتا بقصر ورقلة

[1] دينيس بيلي ،نفسه،ص 24-26-31.

[2] - نفسه،ص 24.

[3] - نفسة، ص 31.

*أنظر الملحق (15) صور للأخوات البيض يدرسن الفتيات في ورقلة.

إلا وفيه جزء من عمل الأخوات البيض من نسيج أو خياطة أو طرز.ويستثنى يوم الأحد لأنه يوم عبادة بالنسبة للأخوات البيض[1].

لقد إختلفت هذه المصنوعات من الزرابي والبرانس والمخدات من الصوف[*] والوبر ، حيث كانت لهذه الزرابي سمعة تجارية رائجة خارج الحدود الجزائرية حيث عام 1931 كان رئيس المركز الكاتوليوكي في ورقلة الأب روبان[2]، وتميزت الصناعة يدوية التقليدية في أقاليم الجنوب ورقلة وتقرت بتوفير الدخل لسكان هذه المناطق حيث تتم داخل البيوت وخارجها أو داخل الدكاكين لذلك نجد إهتمام الأخوات البيض بهذا المجال خاصة الجانب النسوي وذلك في نظرهم لرفع الغبن عن المرأة وتوفير حياة أرقى وقد ساهم تطور هذه الصناعة بوجود مواد محلية وأصلية ومن بين هذه الصناعات (الزرابي وكذلك نجد الحولي والقفطان والقشابية والبرنوس) الذي تشتهر به أغلب مناطق الجنوب إضافة إلى الصناعات الحرفية مثل(الدلاء والقلل والقرب وركوة والصناعة الجلدية والخياطة والطرز[*] وصناعة الأحذية) مما ساهم في إنشاء معهد التكوين في هذه الصناعات[3].

وقد كانت مهنة صناعة الزرابي[*] قديمة ، ومع مجيء الأخوات أصبحت الصناعة أكثر منهجية إلى يومنا هذا،وفي مدارس التكوين والدروس المقدمة التي لا تخلو من الطابع التنصيري و الرموز الدينية الهادفة خاصة على المنتوجات. لذلك كان تسويق هذه المنتوجات إلى أوروبا خاصة فرنسا ، فكان الأوروبيون يقبلون على المطروزات ولا سيما السواح الإنجليز ويشمل ذلك المناديل والستائر وإتسعت الورشة إلى خارج الجزائر للتسويق خارج الوطن[4].

تم فتح العديد من الورشات للصناعة التقليدية والصوف والحايك كما تم فتح ملحقة لصناعة الزرابي والأغطية وورشة للغزل في ورقلة فتحت هذه المنتوجات الباب للتصدير نحو الأسواق الأوروبية وهذه يعكس الإهتمام العام للإستعمار الفرنسي (السلطات الفرنسية) الإهتمام بالجنوب حيث أشار فيرود Feraud إلى أهمية ورقلة التجارية

[1] مقابلة مع السيدة مليكة دادي حرفية تلقت تعليمها على يد الأخوات البيض ولدت سنة 1958 م لها قاعة عرض قارة في دار الثقافة مفدي زكرياء تحوي القاعة على مصنوعات مختلفة وتضم ثرات منطقة ورقلة وهي مازالت على قيد الحياة ، وأشرفت الأخوات البيض على تعليم أمها التطبيب(التوليد) بتاريخ 18فيفري2024 على الساعة 12.30 بمقر دار الثقافة مفدي زكرياء بورقلة برفقة السيدة كماسي أسماء مفتشة لدي مديرية البيئة بورقلة.

[*] أنظر الملحق رقم (16) صورة لتسريح الصوف وغزله في ورقلة.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ،ج6 ،ص 131-446.

[3] جمال بن مسعود :الصحراء الجزائرية تحت نظام الحكم العسكري لإقليم الجنوب الجزائري 1902-1947 ، أطروحة دكتوراء جامعة الجزائر ، ص127.

[*] أنظر الملحق رقم (17) صور لصناعة الزرابي في ورقلة.

[4] أبو القاسم سعد الله ،المرجع السابق،ص131.

بقوله: (يتوجب على الإدارة الإستعمارية ضرورة السيطرة على ورقلة حتى يتم تأمين التجارة في هذه المناطق) وهذا الإهتمام أدى إلى تصاعد الحركة التجارية سواء الداخلية أو الخارجية وهذه المبادلات التجارية تتم في الأغلب من الشمال الجزائري وتتوسع في المغرب الأقصى وتونس كونه الطريق الرئيسي للمبادلات مع فرنسا والدول الخارجية [1].

إن هذه الجهود التي تظافرت منذ البداية مع إنشاء هذه المدارس للسيدات (ديلتو– وأثانو – وباري) مع الأخوات البيض وكثرت الورشات من الشمال إلى الجنوب بإستعمال مختلف أنواع الطرزوالنسيج والأغطية والمظفورات والرسمات الشعبية والألوان حسب المناطق . معظمها تحت إشراف الأخوات البيض[2] حيث كن يهدفن إلى تخليص المرأة من العبودية على حد قولهن.

وخلاصة القول بأن مراكز التكوين لم تفتح قصد تكوين عمال مؤهلين ومواطنين بسطاء إلا في سنة 1939 كما أسست تكمليات تقنية لهذا الغرض وتجدر الإشارة إلى أن هياكل التعليم التقني والفلاحي تحتوي على مستويات مختلفة هدفها تكوين عمال مؤهلين لخدمة المعمرين في غالب الأحيان .[3] أو أن يجعلوا منه خادما صالحا أو فلاحا متعلما قليلا... يظل طول حياته معاونا لأنه ليس مواطنا وإنما هو رعية.[4] وبصدور قرار التعريب الإجباري للمحيط عبر تراب الولاية في 1976/4/3 تحت قرار تأميم التعليم الحر ومراكز التكوين المهني أصبحت هذه المراكز تحت تسيير مؤسسات الدولة.

المبحث الخامس: تقرت أنموذجًا.

من المناطق التابعة لمدينة ورقلة في فترة الاحتلال الفرنسي منطقة تقرت، حيث وقع اختيارنا عليها دون غيرها، نظرًا لأننا من ساكنيها، ويهمنا معرفة المزيد من حيثيات تواجد الأخوات البيض فيها، ومدى تأثيرهم على الأهالي من خلال شهود العيان، كما لاحظنا خلال دراستنا أن نشاطهم تحدث عنه الكثيرون ممن عايشوهم في مختلف الميادين (صحي، تعليمي، مهني) وبقيت آثاره إلى يومنا هذا.[5]

فمنطقة تقرت جوهرة الواحات، وعاصمة وادي ريغ، وهي منطقة صحراوية تقع في الجنوب الشرقي من الجزائر. لها حدود من الجهة الجنوبية مع بسكرة – تبعد عنها بـ 220 كلم، وعن وادي سوف غربًا بـ 95 كلم، وعن ورقلة 160 كلم. وكانت مركزًا تجاريا،فلاحيًا، وعسكريًا خلال الفترة الاستعمارية.[6]

---

[1] جمال بن مسعود، المرجع السابق ،ص133 .

[2] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص 446.

[3] الطاهر زرهوني، المرجع السابق ، ص27.

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ص435.

[5] أحمد حسني: التاريخ الثوري لتقرت ووادي ريغ، ط1، مطبعة مزوار تقرت، 2019، ص 09.

[6] نفسه، ص 09.

تعتبر تقرت من الحواضر المهمة التابعة لمدينة ورقلة، شهدت حضورًا مميزًا للأخوات البيض، ونشاطا معتبرًا تكلم عنه العديد من الذين عايشوا تلك الفترة، وممن تعايشوا مع الأخوات، كما جاء على لسان السيد حاج سعيد أحمد * من خلال مقابلتنا له حيث أدلى ببعض المعلومات « أن تواجد الأخوات البيض في المنطقة (تقرت) كانت عن طريق الأخت ماري مادلين أو ماجدولان* في أكتوبر 1939 أسست ماري الدار الأم *مع الأخوات البيض في حي من تقرت المعروف بالنزلة، وتقول ماري بهذا الصدد «سيدي بوجنان جميل، وكأنه طريق في الجنة» هذا الموقع أصبح موقع حج، سيدي بوجنان هو أول قبلة للأخوات. وكانت الأخوات آنذاك تتبع ثلاث مبادئ هي الحرمانية، والفقر، وطاعة الرب.[1]

كانت الأخوات البيض يعملن بجد، وبعرق جبينهن، حتى يكسبن قوتهن، كما كنّا يأخذن الصدقات من الأشخاص ويتعايشن مع الفقراء والمساكين، ويقدمّن لهم خدمات كثيرة كمدوات المرضى وخدمات النفاس (التوليد)، ومن أمثلة هؤلاء القابلة المدعوة جاندري* حيث كن يستعملن وسائل بسيطة خاصة في التنقل بين المنازل ليلاً لأداء هذه المهمة، ومن ذلك ما يعرف بالكانكي* ولا تتوقف مهمتهن عند التوليد فقط بل يبقون على تواصل مع النساء اللاتي ولّدنهن، فيراقبن حالتهم، وحالة المولود، وربما يزودنهن في أحيان كثيرة بالحفاظات، ويعلمنهن كيفية التربية والتعامل مع الأطفال ...[2]

وقد ذكرت الأخت هنيّة * عند مقابلتنا لها في مقر سكناهم بالدار الأم بالنزلة قائلة: «أن الأخوات البيض سابقًا وحتى هم حاليا لم يأتين من أجل نشر المسيحية بل جئن من أجل الرقي بالمرأة وتحضيرها، واطلاعها على حقوقها. وتقديم خدمات إنسانية لا حصر لها»[3]

* أحمد حاج سعيد: أستاذ فرنسية متقاعد مواليد 1949 عايش فترة تواجد الأخوات البيض ولا يزال على قيد الحياة.

*ماري مادلين (ماجدولان): ولدت في 26 أفريل 1898م بفرنسا إبنة ضابط عسكري مزين عمل في شمال إفريقيا وعقد صدقات تعارف مع المسلمين والعرب وكان نفس الشأن لابنته، في 1936 حلوا بالجزائر، برفقة أمّها، سكنوا قصر البخاري وبعد عودة أمها لفرنسا، دخلت ماري في ملتقى للدراسة عند الأخوات البيض

* أنظر الملحق رقم (18) صورة لدار الأم في تقرت.

[1]مقابلة مع الأستاذ أحمد حاج سعيد يوم الخميس 08 فيفري 2024 على الساعة 16:30 في منزله بشارع الاستقلال بتقرت.

*أنظر الملحق رقم (19) صورة لمصباح الكيروسين أو ما يعرف بالكانكي.

* أنظر الملحق رقم (20) صورة للقابلة جاندري.

[2]أحمد حاج سعيد" المرجع السابق (مقابلة.)

*هنية: إحدة الأخوات الزرق حاليًا بالدار الأم، النزلة، سيدي بوجنان، وقد خلفن الأخوات البيض في المنطقة، وهي ذات أصل بولوني، وسميو بالزرق نظرًا للون اللباس الذي أصبح أزرق.

[3]الأخت هنية: المصدر نفسه.

وقد ربطتهم علاقات جد طيّبة بالأهالي على حد قول السيد حاج سعيد، كما علّموا النسوة الطبخ، وكيفية تربية الأطفال، وحتى تعليم اللغة الفرنسية، إذ كلّفت البعض منهن بتعلم مبادئ اللغة الفرنسية في ابتدائية الطاهر العبيدي والبعض الآخر يقوم بتعليم اللغة العربية كما كانت هناك الكشافة النسوية التي تشكلت آنذاك من مسلمين يهود ومسحيين.[1]

وهناك جانب آخر لا يقل أهمية من الجوانب السالفة الذكر، وهو حرفة الطرز التقليدي، وهي حرفة قديمة جدًا عند المجتمع التقرتي على حد قول السيدة عرباوي* أنه لا توجد وثائق تاريخية تتكلم عن هذه الحرفة، وإنما فقط من خلال الشهادات التي تحصلنا عليها من اللاتي عايشن تلك الفترة ودرسن عند الأخوات البيض.[2]

وتقول السيدة عرباوي كما جاء على لسان الأخت يولاند (Yoland) التي أقرت بأنه عند دخول الاستعمار الفرنسي، وقدوم الأخوات البيض إلى مدينة تقرت وجدن النسوة يمارسن هذه الحرفة، فأخذنها عنهن، وخلال تواجد الاستعمار في المنطقة أنشئت مراكز لتعليم أبناء المنطقة حيث يعود الفضل في تعليمهن، وتلقينهن تكوينًا للراهبات (الأخوات البيض) حيث كان هناك مراكز، لتعليم هذه الحرفة حسب أصلهن.

- مركز الميناجور(Minajour) للمجاهرية.*
- مركز النزلة للحشاشنة*، وكان الغرض من هذا التقييم فرض سياسة فرق تسد حتى بعد خروج الاستعمار، وبقيت الأخوات البيض في هذه المراكز يشرفن على تعليم البنات.[3]

[1] أحمد حاج سعيد: المرجع السابق (من المقابلة)

*السيدة عرباوي: هي إحدى المعلمات بمركز الصناعة التقليدية الذي كان مركز للأخوات البيض سابقا في العهد الاستعماري ومن أكثر المهتمين بحرف الطرز التقليدي، حيث كانت لها حتى معارض في الخارج وتشرف عليها إلى يومنا هذا.

[2] مجلة الباحث في العلم الاجتماعية والإنسانية: البناء الاجتماعي لحرفة الطرز التقليدي لمدينة تقرت، العدد 32، جانفي 2018 ص 27.

*المجاهرية: إن أصل كلمة مجاهرية منحرفة عن كلمة مهاجرية وهم أولائك المهاجرين الذين جاء بهم الجلالبة من تونس ونفطة والمغرب والزيبان والتل الجزائري عامة لتنشيط التجارة بأسواقهم.

*الحشاشنة: نسبة إلى الحشانة أي الفسيلة التي تغرس وتصبح بعد النماء نخلة، إذا فرجال الحشان هم رجال الأعمال في النخيل.

[3] مجلة الباحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية: المرجع السابق، ص 28.

خلاصة الفصل الثاني

تنوعت نشاطات الآباء البيض بمعية الأخوات البيض في مدينة ورقلة ، وتبعا للظروف العامة الصحية والاجتماعية والاقتصادية تمكنوا من توسيع نشاطهم ليشمل المجال الطبي "التطبيب" وأيضا التعليم والتعليم المهني.

وارتبطت هذه النشاطات التي تعتبر ضمن الخدمة الإنسانية أو الواجب الإنساني ، دائما ببناء الكنيسة أولا ومدرسة وورشة في القصر القديم ، وذلك لسهولة الإتصال بالسكان ، وخاصة الأطفال والنساء ، ولم يكن التعليم الخاص أو المهني هدفا في حد ذاته ، بل ارتبط بغاية الإحتكاك بالسكان وسهولة التأثير لغرس أفكارهم.

وخلاصة القول نلاحظ أن التعليم المهني أخذ نصيبا كبيرا من طرف الأخوات البيض في الجنوب الشرقي وهذه المشاريع التي أنشأتها الأخوات البيض سعت إلى إستمالة النساء بكل وسيلة عن طريق الإغراء والرومانسية بهدف الوصول إلى الأسرة الجزائرية وذلك بالتأثير على المرأة ودمجها في سوق العمل بحجة إعالة أسرتها.إلا أن الأمر بقي نسبيا ومتفاوتا من منطقة إلى أخرى ، نتيجة ما يتميز به المجتمع الصحراوي من تمسك بالدين الإسلامي ، وكل ما يمس العرف،والقيم والعادات والتقاليد.

خـــاتمة

خاتمة

من خلال دراستنا لهذا الموضوع استخلصنا مجموعة من النتائج يتضح على إثرها عنصري التأثير والتأثر اللذان ظهرا جليًا من حيث التعامل بين الآباء والأخوات البيض وأهالي المنطقتين اللتين شملتهما الدراسة، و عليه يمكن وضع حوصلة هذه النتائج فيما يلي:

- لقد استغل الاحتلال الفرنسي الوضع العام للصحراء التي كانت تعتبر بوابة إفريقيا السوداء لتحقيق مشاريعه التوسعية، الاقتصادية والدينية، كما عمد لاستخدام كافة الوسائل الممكنة لإخضاعها.فلجأت السلطات الاستعمارية إلى توظيف رجال الدين، والحملات التبشيرية بهدف تحقيق حلم إفريقيا المسيحية.
- انتحل المبشرون في الجزائر أدوار شخصيات عديدة فمنهم الطبيب والمعلم، والكاتب، وساعي البريد، والمحاسب والمستشار، والحكم، والمحامي... .
- إن الخدمات والأعمال المقدمة من طرف الأخوات البيض لا تدخل في نطاق الخدمات الإنسانية التي تقدمها طائفة من البشر لطائفة أخرى لا تربطها بها أي صلة من أي نوع كانت ماعدا الرابطة الإنسانية وهنا يقول لافيجري لمبشريه «عندما نربح ثقة الشعوب بواسطة الأعمال الخيرية، وتعليم الأطفال فإن كل شيء سيكون على ما يرام عندما يحين اليوم الموعود –كالثمرة الناضجة تسقط وحدها بدون أية هزة من الإنسان أو غيره– لكي يهب نفسه إلينا.
- امتاز تعامل الجزائريين في المنطقة مع الآباء والأخوات البيض في البداية بالحذر والرفض، وتمظهر ذلك في عديد المواقف فمثلا إذا لمس أب مسيحي خضرة أو فاكهة بالسوق دون أن يشتريها فلا يمكن لها أن تباع، وحتى عند تجوالهم في الأسواق يتهربون منهم، لذلك واجهوا صعوبات في التقرب من المجتمع الصحراوي المنغلق على نفسه و الرافض لما هو غير إسلامي». وكذا لجوء الأطفال المزابيين إلى غسل أيديهم بعد تمدرسهم في مدارس، ومراكز الأخوات البيض قبل مصافحة أهلهم ومجالستهم فيعتبرون ذلك نجاسة يستوجب إزالتها بغسل اليدين.
- لقد كانت مهنة صناعة الزرابي مهنة قديمة، ومع مجيء الأخوات أصبحت الصناعة أكثر منهجية إلى يومنا هذا، وفي مدارس التعليم المهني لا يبرز فرقًا عن المدارس العامة في نوعية الدروس المقدّمة التي لم تخلو من الطابع التنصيري، في مجال التكوين، والتأثير الذي ينجر عنها خاصة لدى فئة البنات والنساء.

- أما المنيعة، فرغم الأعداد الكبيرة للأيتام الذين تم تنصيرهم في مزاب إلا أن أعداد المنصرين من السكان الأصليين قليل جدا، حيث مس التنصير فئة معينة من الأطفال اليتامى الذين جيء بهم من مختلف المناطق، و سرعان ما تزايد عددهم خاصة بعد تكفل الآباء والأخوات البيض بأبناء العسكريين الفرنسيين ذوو الأمهات الجزائريات الذين بلغ عددهم 243، سنة م1945، وقد كانوا يرسلون بعض اليتامى إلى غرداية لتكوينهم للمهمة التنصيرية.

- كلف الآباء البيض الأخوات البيض بالجانب النسوي، حيث اعتبر الدخول إلى سواد وعتمة منازل الميزابيين مرفوض بشكل قطعي، ويدنس سمعتهم، ولاسيما في حضرة الهيئة الدينية للنساء (تمسردين) التابعة لهيئة العزابة، والمعروفة بالصرامة، وبالحفاظ على الشعائر الدينية، وعادات وتقاليد البلاد في مجالها النسوي، كما كانت تقمن بعرقلة النساء إزاء الدخول في أي علاقة مع الأخوات، ووصلن إلى حد إعلان البراءة (التنصل) لكل من يتصل بالفرنسيين.

- إن الأوضاع الصحية المتردية في ورقلة هي ظاهرة صاحبت الاستعمار مما انعكس سلبا على الأوضاع العامة، وساهم تدخل المنصرين من رجال الدين والأخوات، مركزين على التطبيب في المقام الأول في الظروف الصعبة (انتشار الأوبئة و الأمراض...) فعملوا على استغلال الأطفال و النساء و اليتامى لتحقيق غاياتهم.

- إن الهدف من إنشاء هذه المدارس التنصيرية في ورقلة أو غيرها من مناطق الجنوب الشرقي، هو القضاء على اللغة العربية والدين وفرنسة الجزائريين، وتكوين فئة موالية لفرنسا، وعاملين في المصانع الفرنسية، إضافة إلى سعيهم لتشويه الإسلام، وبث الشك في الجزائريين من أبناء الصحراء.

- إن التعليم المهني أخذ أكبر نصيب عن طريق إنشاء الورشات و المعامل، هدفها التغلغل في الأوساط الاجتماعية و خاصة النساء لمعرفة نمط المعيشة و التجسس على المجتمع، و إخراج المرأة الجزائرية الورقلية إلى العمل خارج البيت، و يعتبر تعدي على حرمة العائلة الجزائرية المحافظة مما دفع المرأة إلى تبني حياة جديدة زيادة على المحاولة البائسة لطمس الدين الإسلامي.

- بعد استقلال الجزائر سنة 1962م واصل الآباء و الأخوات البيض مهامهم في التعليم و العلاج، رغم أن أعدادهم أخذت تتناقص تدريجيا، بعودة البعض منهم إلى أوطانهم، كما قاموا ببيع مراكزهم كالغابة، أو المركز الذي حولته جمعية الإصلاح بغرداية إلى مسجد، فضلاً عن تأميم الدولة لبعض مراكزهم سنة 1976 في إطار تأميم التعليم الذي حد من فعاليتهم، إلى أن انحصر نشاطهم في المركز الثقافي للوثائق الصحراوية، وهو نفس ما حدث لكثير من مراكزهم في ورقلة أيضًا.

- وقد تصدت الحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري إلى كل محاولات التنصير في الجنوب الشرقي خاصة في الخمسينيات ،وذلك عن طريق الخطابة والمحاضرات، و تأسيس الجمعيات مثل شباب آل بومعقل ،1952 م- إتحاد شباب ورقلة 1951 م، حيث ساهموا في نشر الوعي في صفوف الشباب. أيضا إنتشار الجرائد جريدة وادي ميزاب 1926م، والتي منعت من النشر. ودور عدة شخصيات إصلاحية منهم أبو اليقضان 1930م، الشيخ الطيب باعمر، إبراهيم بيوض، طاهر العبيدي، إضافة إلى دور الزوايا المنتشرة في غرداية ورقلة تقرت مثل الزاوية القادرية الزاوية التجانية وأيضا المساجد والكتاتيب القرآنية.

قـائـــــمة المـــلاحق

الملحق رقم (01) صورة الراهب "شارل دوفوكو"

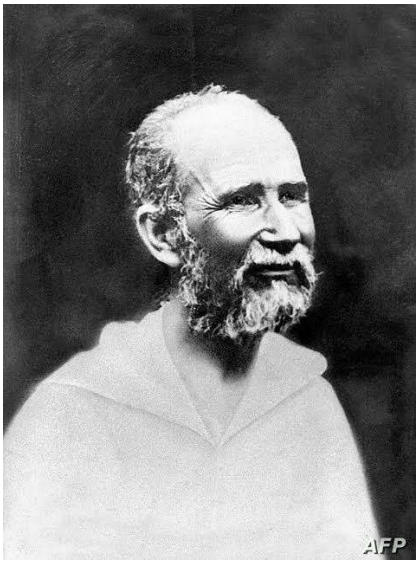

www.islamist-movements.com

الملحق رقم (02) صورة لمراكز لآباء والأخوات البيض وسنوات تمركزهم في الجنوب الشرقي الجزائري.

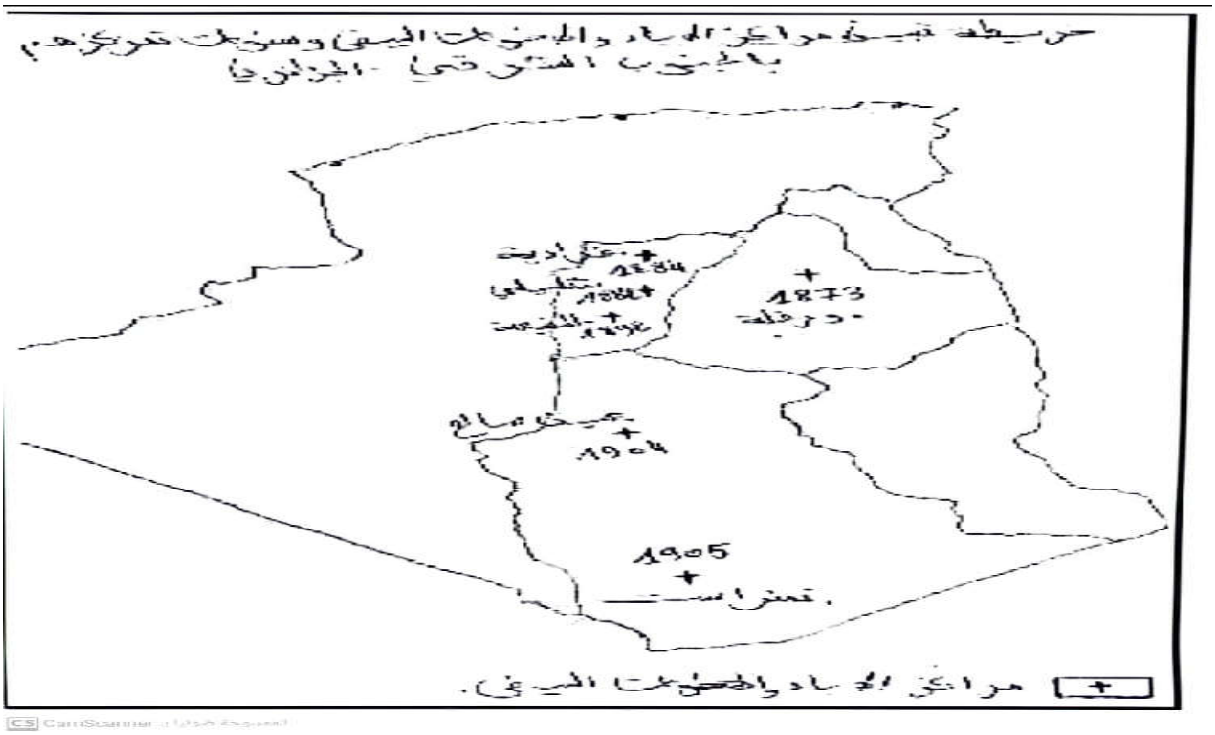

الملحق رقم (03) صورة الكردينال لافيجري.

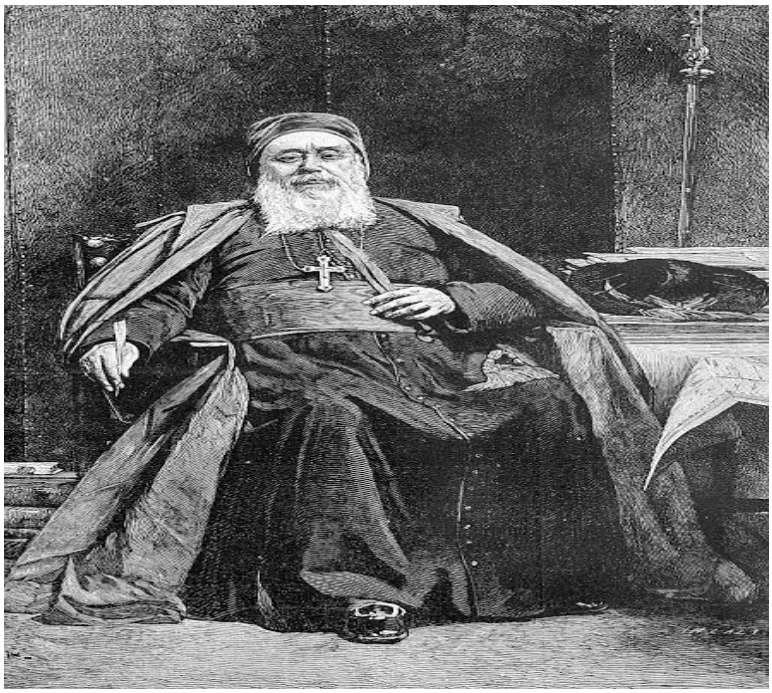

www.delcampe.net

الملحق رقم (04) صورة للدار المربعة:

منزل مقر جمعية منصّري إفريقيا (الدار المربعة) بالحراش –الجزائر

www.delcampe.net

الملحق رقم (05) صور للباس الأخوات البيض

Source: missionschwesternafrika.de

Source: ar.m.wikipedia.org

الملحق رقم (06) صور لخريطة الموقع الجغرافي لمدينة غرداية وقصورها.

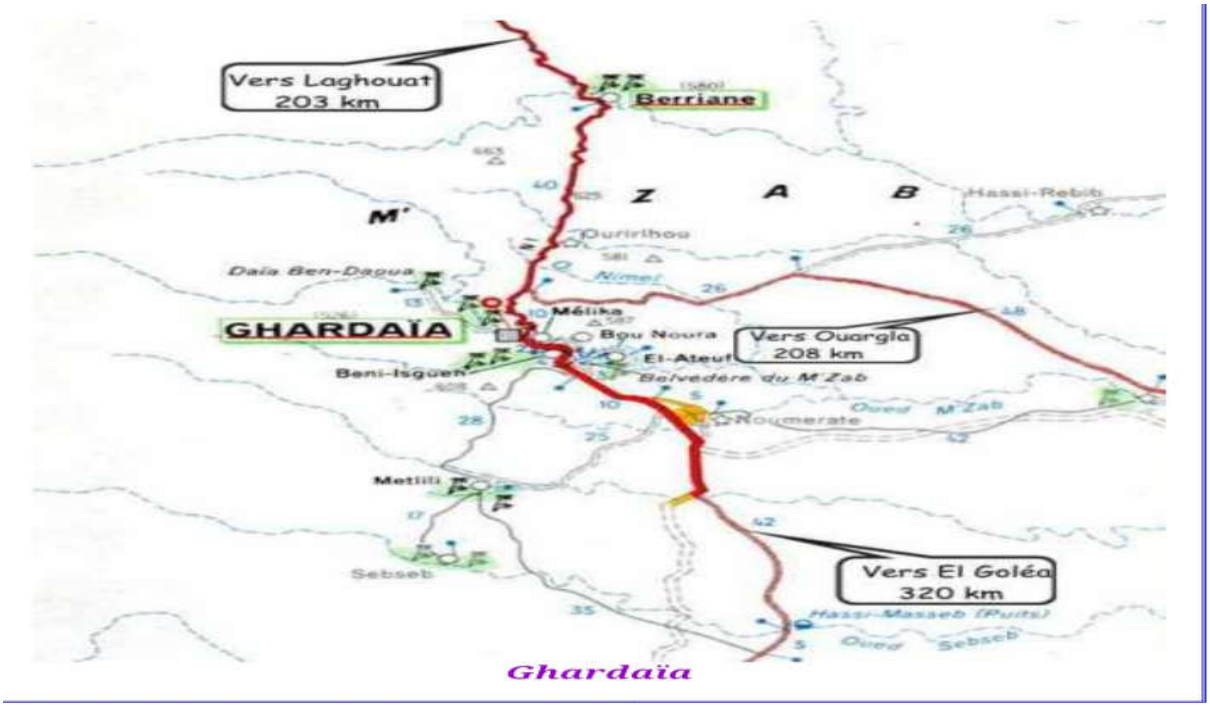

Source: www.alger-roi.fr

الملحق رقم (07) صورة للمستشفى العسكري في حي تيضفت.

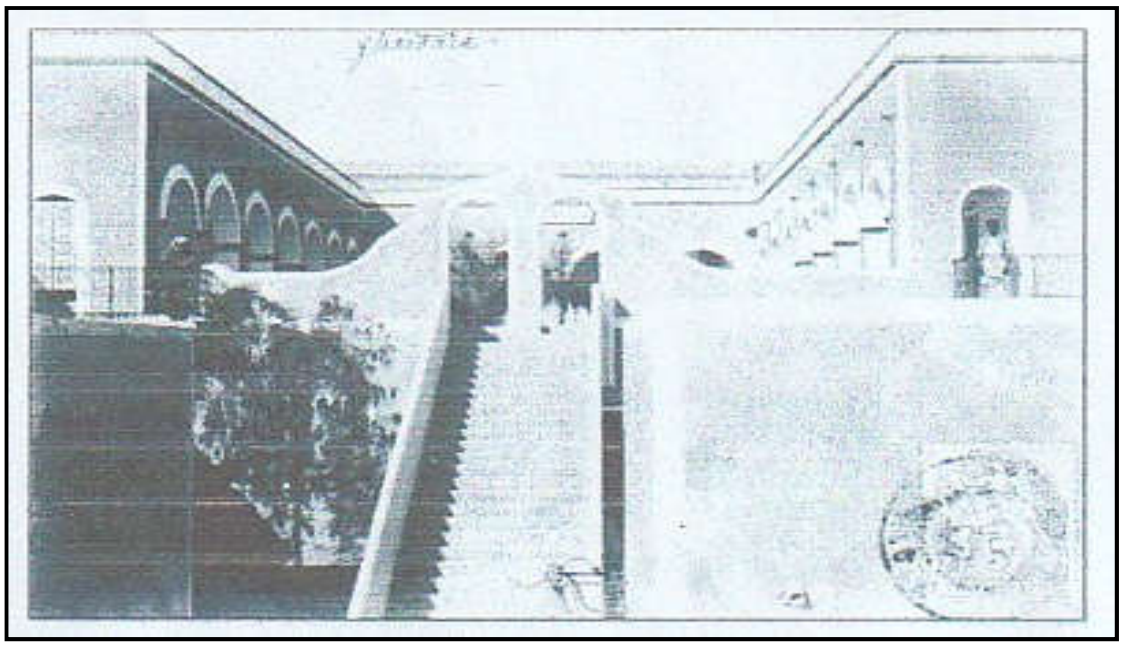

Source: **www.cairn.info**

الملحق رقم (08) خريطة لقصر غرداية تظهر مركز التكوين المهني للأخوات البيض بحي باب الراعي.

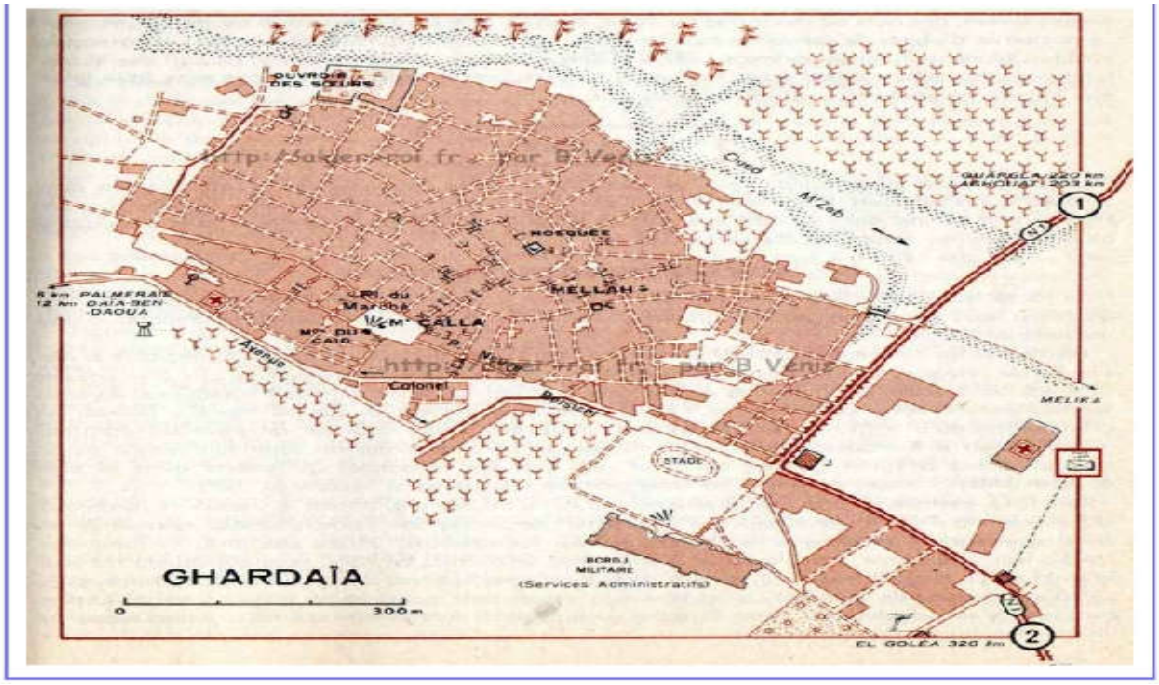

Source: www.delcampe.net

الملحق رقم (09): صورة لتسريح الصوف بغرادية.

Source: www.delcampe.net

الملحق رقم (10): خريطة الموقع الجغرافي لورقلة والمناطق التابعة لها.

Source: www.alger-roi.fr

الملحق رقم (11): صورة القصر القديم بورقلة.

المرجع عبد الحميد نجاح ، المرجع السابق ، ص18.

. الملحق رقم (12): صورة لفتاتين منصرتين في المجتمع الورقلي.

الصور مأخوذة من الدكتور رضوان شافو أستاذ التعليم العالي بجامعة الشهيد حمة لخضر الوادي.

الملحق رقم (13) و (14): ملخص لقاء مع مليكة دادي .

المصدر عين المكان-دار الثقافة مفدي زكرياء ورقلة- قاعة عرض –مليكة دادي-جمعية آت حناتي

الملحق رقم (15): صورة للأخوات البيض يدرسن الفتيات في ورقلة.

الصور مأخوذة من الدكتور رضوان شافو أستاذ التعليم العالي بجامعة الشهيد حمة لخضر الوادي.

الملحق رقم (16) صورة لتسريح الصوف وغزله في ورقلة.

الصور مأخوذة من الدكتور رضوان شافو أستاذ التعليم العالي بجامعة الشهيد حمة لخضر الوادي.

الملحق رقم (17): صور لصناعة الزرابي بورقلة

الصور مأخوذة من الدكتور رضوان شافو أستاذ التعليم العالي بجامعة الشهيد حمة لخضر الوادي.

الملحق رقم (18) صورة للدار الأم بالنزلة تقرت.

دير سيدي بوجنان بالقرب من ضريح سيدي بوجنان

الملحق رقم (19): صورة لمصباح الكيروسين أو ما يعرف بالكاني

Source: https://arabsstock.com

الملحق رقم (20) صورة للقابلة جاندري.

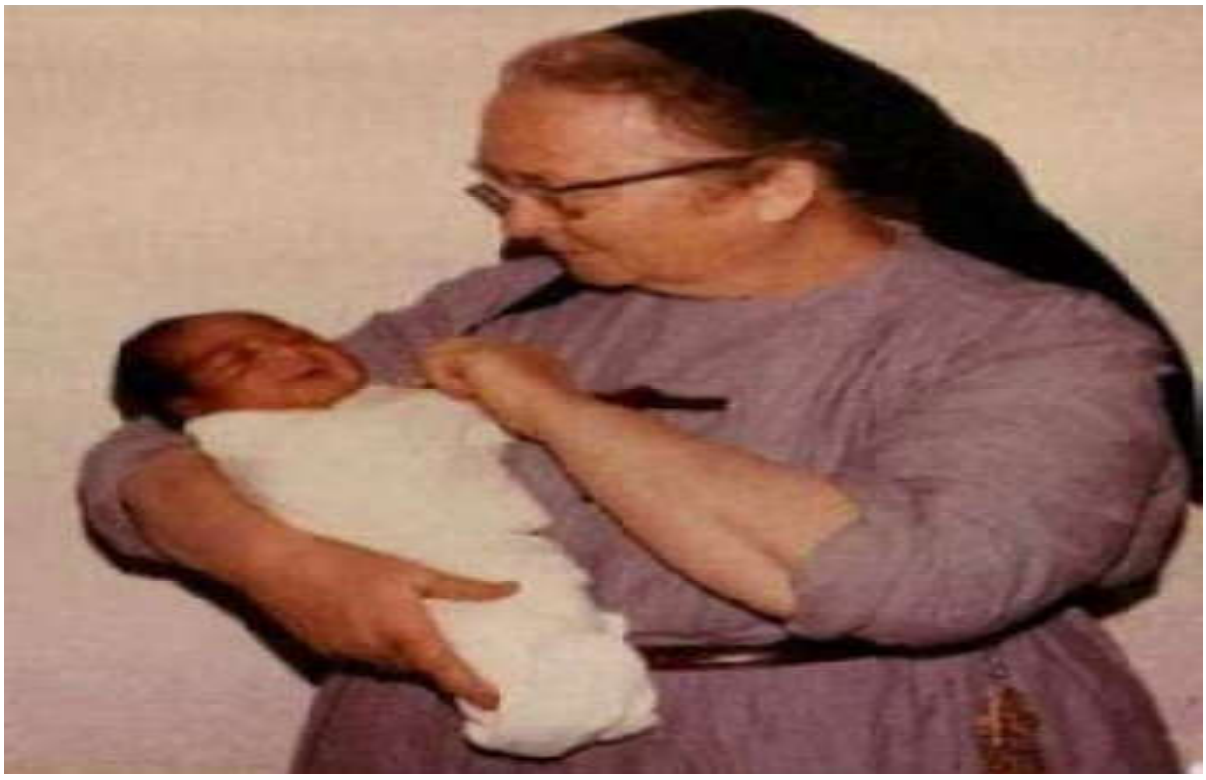

قـــائمة المـراجـع والمصـــادر

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر:

- إبراهيم بن صالح بابا حمو:غصن البان في تاريخ وارجلان ،دراسة وتحقيق إبراهيم بن بكير بحاز،سليمان بن محمد بومعقل ،دار العالمية الطبعة الأولى 2013 م.
- غبر شرجورح: الصحراء الكبرى الطبعة (1) تعريب خيري حماد، المكتب التجاري للطباعة و النشر، بيروت لبنان 1961
- كراس الصحة ورقلة(5) المركز الثقافي للوثائق الصحراوية وجمعية القصر للثقافة والإصلاح ديسمبر 2012.
- مقابلة مع السيدة مليكة دادي حرفية تلقت تعليمها على يد الأخوات البيض ولدت سنة 1958 م لها قاعة عرض قارة في دار الثقافة مفدي زكرياء تحوي القاعة على مصنوعات مختلفة وتضم ثرات منطقة ورقلة وهي مازالت على قيد الحياة ، وأشرفت الأخوات البيض على تعليم أمها التطبيب(التوليد) بتاريخ 18فيفري2024 على الساعة 12.30 بمقر دار الثقافة مفدي زكرياء بورقلة برفقة السيدة كماسي أسماء مفتشة لدي مديرية البيئة بورقلة.
- مقابلة مع الأستاذ أحمد حاج سعيد يوم الخميس 08 فيفري 2024 على الساعة 16:30 في منزله بشارع الاستقلال بتقرت.
- هنية: إحدة الأخوات الزرق حاليًا بالدار الأم، النزلة، سيدي بوجنان، وقد خلفن الأخوات البيض في المنطقة، وهي ذات أصل بولوني، وسميو بالزرق نظرًا للون اللباس الذي أصبح أزرق.
- وثائق مكتبة الكنيسة ورقلة.

قائمة المراجع

- إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- إبراهيم محمد الساسي العوام ترعليق الجيلاني بن إبراهيم العوامر،ط2، الأبيار الجزائر، دار تالة 2009، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف.
- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1830م. 1954م مج6، ط1، دار الفكر العربي بيروت لبنان 1998م.

- أحمد حسني: التاريخ الثوري لتقرت ووادي ريغ، ط1، مطبعة مزوار تقرت، 2019.
- أحمد دكار: الروابط بين الحواضر الصحراوية الجزائرية في العصر الحديث، وادي منة ورقلة، وادي ميزاب أنموذجا، الماهر للطباعة والنشر والتوزيع، 2023، سطيف الجزائر.
- السايح عبد الله بن الجيلالي: صفحات من تاريخ ورقلة منذ أقدم العصور حتى الاحتلال الفرنسي، الآمال للطباعة الجزائر، ط1، 2010.
- الطاهر زوهوني: التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية الجزائر 1994
- جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طباعة المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ط1، 1994
- جميلة بن موسى: تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن 9م إلى 11م، منشورات بلوتو، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2011،
- خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830 م-1871م) منشورات دحلب الجزائر 1992.
- دينيس بيلي: معالم تاريخ ورقلة 1872-1992 ترجمة علي إيدار بدون طبعة.
- رابح بن تركي: جهود الجزائر في تعريب التعليم العام والتقني الجامعي 1962 – 1984م ن مجلة الثقافة العدد 91، فيفري 1986م، الجزائر.
- رضوان شافو: الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة أنموذجا 1844م- 1962م، دار المحابر للنشر والتوزيع، دط، 2015.
- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي (1830م- 1954م) مج6، ط(1)، دار الفكر العربي بيروت، لبنان، 1998 م.
- سعيدي مزيان: النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر (1867-1892 م) ط(1)، 2009 م، الجزائر.
- سيدي محمد رامي:دور الإستعمار الفرنسي في تفشي الأمراض والأوبئة بالجزائر خلال ق 19 مجلة العصور الجديدة .مج10 ،ع4 ،2020

- عبد الحميد نجاح: منطقة ورقلة و تقرت من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال، ورقلة، ط(1)، الآمال للطباعة، 2003.
- عبد القادر فكاير: دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1962)، النشر الجاعي الجديد الطباعة للنشر والتوزيع تجزئة تعاونية الدواجن حي الدالية الكيفان تلمسان، 2021.
- عبد القادر موهوبي السائحي: عمالة قسنطينة خلال المقاومة والثورة التحريرية الجنوب الشرقي نموذجا طبعة خاصة من وزارة المجاهدين دار قرطبة للنشر والتوزيع 2018.
- عمر داود: الحركة التبشيرية في الجزائر (نشاط الآباء والأخوات البيض في غرداية أنموذجًا مقاربة سوسيو-تاريخية، دار نزهة الألباب للطباعة والنشر والتوزيع.
- فردوس محلي: الأمراض والأوبئة في منطقة وادي ريغ: ط1، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، ديسمبر 20.
- كوكب عبد الحق:مشكلة إنخفاض المستوى الصحي بالجنوب الجزائري أثناء الفترة الإستعمارية مداخلة في الندوة التاريخية حول مظاهر التطبيب الإستعماري والشعبي لمواجهة الأمراض والأوبئة في الجنوب من تنظيم مخبر البحث التاريخي والإقتصادي والإجتماعي في الجزائر قسم العلوم الإنسانية جامعة الوادي، الجزائر، يوم 27/26 ديسمبر
- لخضر عواريب : دكتور قسم العلوم الإنسانية ورقلة مداخلة من أعمال الندوة التاريخية الإفتراضية حول مظاهر التطبيب الإستعماري والشعبي لمواجهة الأمراض والأوبئة في الجنوب الجزائري 1830-1954 م من 26-27 ديسمبر 2020، جامعة واد سوف كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية قسم التاريخ ،
- محمد الطاهر واعلي: التعليم التبشيري في الجزائر منذ 1830 إلى 1904م منشورات دحلب المؤسسة الوطنية للقنون وحدة الرغاية، الجزائر2007
- محمد الطاهر وعلي: التعليم التبشيري في الجزائر،من 1830 إلى 1904، منشورات دحلب،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية الجزائر
- مرجاني عبد القادر:السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19،إش:مجاود محمد تح التاريخ الحديث والمعاصر جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس 2019-2020م
- يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني ميزاب دراسة إجتماعية ،إقتصادية و سياسية ، ط 3، المطبعة العربية 11 نهج طالبي أحمد غرداية ، 2014.

المراجع باللغة الأجنبية:

-Sœur Blanche: Quel que souenir sue le poste de Ghardaïa, docementnuméro: 01, 230.000, 11.doc: x160G .

- Marie alma: La mémoire de sœur marie Alma Sage femme de Ghardaïa, fascicule numéro: 01.23000011.doc: x dossier établi le 21 mai.
- Michel gagnon: Aperçu sur l'histoire de la mission au Sahra, fascicule 2, Souvenirs de sr denis (1980), Laghouat (Algérie) 2000.

- Rapport de la mission catholique de Ghardaïa, on par : Belandou commandant militaire du territoire de Ghardaïa , à : meynier gouverneur général des territoires du sud.

المذكرات:

- جمال بن مسعود :الصحراء الجزائرية تحت نظام الحكم العسكري لإقليم الجنوب الجزائري 1902-1947، أطروحة دكتوراء جامعة الجزائر

الجرائد:

خليدة زغلامي: "المنيعة فضاء سياحي مميز" ، جريدة السياحي تصدر عن شركة الرؤية للإعلام والصحافة بعنوان 03 شارع الإخوة مراكشي بلدية محمد بلوزداد العاصمة، دع، 2024/08/22.

مجلات:

- الحبيب الحنحاني: حركة التبشير و السياسة الاستعمارية في المغرب العربي القرن 19 مجلة الأصالة. العدد 16، مطبعة البعث قسنطينة الجزائر 1393 هـ - 1973 م.
- رابح بن تركي: جهود الجزائر في تعريب التعليم العام والتقني الجامعي 1962 – 1984م ن مجلة الثقافة العدد 91، فيفري 1986م، الجزائر.

- عمار غرايسية: من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية ورجلان أنموذج، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية 2011، عدد 15.
- مجلة الباحث في العلم الاجتماعية والإنسانية: البناء الاجتماعي لحرفة الطرز التقليدي لمدينة تقرت، العدد 32، جانفي 2018.
- مصطفى بن حدة: السياسة التعلمية الفرنسية في الجنوب الشرقي الجزائري 1882-1914 ،مجلة العبر للدراسات التاريخية الأثرية في شمال إفريقية المجلد السادس العدد (2) بتاريخ 30 جوان 2023.
- معجم أعلام الإباضية، منذ القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، جمعية التراث أحبة البحث العلمي المجلد الرابع، من الحرف الفاء إلى الياء ، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر 1999.

موقع الالكتروني:

مقالة عين ميزاب: في الصحف الجزائرية ، ولاية غرداية حضارة و أصالة الموقع حضارة ميزاب ، البيئة الإكولوجية بميزاب الإثنين 2009/10/09.

المقابلات:

- مقابلة مع حفيدة المجاهدة تاتة نهاكة المولودة خلال 1913 والمعروفة بكماسي فاطمة، يوم الخميس 2024/07/11 الساعة الثامنة والنصف صباحًا